رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

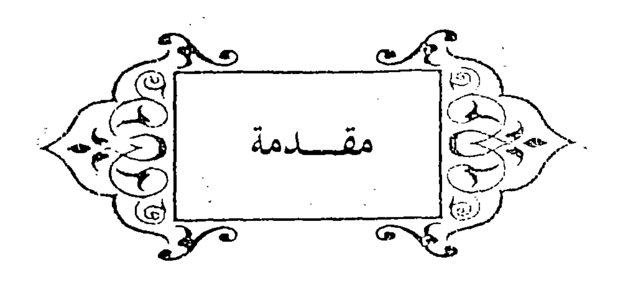
التعريف بالرسالة والرد على الشبهات المثارة في الغرب

تأليـــف

عـــادل محمد فهمي مـــراد

ج.م.ع


بسم الله الرحمن الرحيم



مقـــدمة

"المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير
من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"
حديث شريف

ممـــا لا شك فيه أن أحد مسببات عداء الغرب لرسول الإسلام ﷺ، هو أنه جاء بنظام اجتماعـــي وفكـــري متكامل، ينازع الغرب في مسلماته الأساسية، بل وفي طرق التنظيم والإدارة وسياســـة المجتمعات سواء داخل المجتمع نفسه، أو فيما بينه وبين سائر المجتمعات الأخرى.

ولأنه – أي الإسلام – يقدم للإنسانية أسمى معاني الإخاء والعدالة لصالح المنفعة العامة وللناس كافة، دون عنصرية أو نزعات مركزية أو ميول أتوقراطية... فقد كان طبيعياً أن يقع الصراع ويشتد كلما اتسعت مظلته السمحاء على المزيد من البشر وقد ابتغوا الأمن بظله الظليل، ونفحاته العطرة وشريعته في الدنيا والآخرة.

لا غبار أن نتحاور ولا غبار أن نتشاور ولا غبار أن نتجادل، ولكن الغبار كله أن نظل هكذا، في خلف شديد.......... الغبار أن ننظر إلي السواد القليل في الثوب الأبيض .

الغبار أن ننهج حجة القوة لا قوة الحجة.

الغبار أن يظل حوارنا: هراء لا يقره تاريخ ولا يرضاه منطق ولا تقبله ملّة أو عقيدة أو شريعة إلي ما لا نهاية ترجي.

ومـــن جانبنا فلن نقابل السب بالسب – كما يفعل ضعيف الحجة، وهزيل المنطق بل ســـنقدم الأدلة والبراهين والحجج المؤكدة لهذا الدين القيم ولنبيه ولرسوله الذي أرسلته السماء ليتمم مكارم الأخلاق للناس أجمعين:

رسول الهدى وإمام الندى وأبلغ من حضر وبدا، وأوعظ من راح وغدا: المصطفى ﷺ.

المـــؤلف

الأدلة العقلية والعلمية والكونية

على نبوّة النبي ﷺ وربطها بالأدلة الشرعية

"أنا دعوة إبراهيم وبشرى عيسى"

حديث شريف

في الـــتلفاز البريطاني جرى الحوار التالي بين مقدم البرنامج وثلاثة علماء أمريكان، وذلك بعد الـــضجة الـــتي أثيرت في الإعلام حول تكاليف الرحلات إلى القمر، والتي بلغت: مائة ألف مليون دولار. فقد قال أحد هؤلاء الثلاثة:

- حـــين كنا ندرس التركيب الداخلي للقمر، إذ بنا نكتشف حقيقة لو أنفقنا أضعاف هذا المال لإقناع الناس بها ما صدقنا أحد وتساءل المذيع:

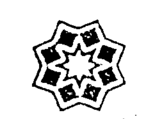
- وما هذه الحقيقة؟!

- هـــذا القمر قد انشق في يوم من الأيام ثم التحم!

وكان السؤال:

- وكيف عرفتم؟!! قالوا:

- وجدنا حزاماً من الصخور المتحولة يقطع القمر من ســـطحه!! إلى جوفه إلى سطحه، فاستشرنا علماء الأرض وعلمـــاء الجيولوجيا فقالوا:- "لا يمكن أن يكـــون هذا قد حدث إلا إذا كان هذا القمر قد انشق ثم التحم ... لقد حدث ذلك بالفعل...



دلائل نبوّة الرسول ﷺ

لا شك في أن الأدلة على نبوءات رسول الهدى تجل عن الحصر، وأنّى لها أن تحصي أو تعد...!

مــن الــثابت أن دلالة القرآن على محمد ﷺ لا تنحصر في ناحية واحدة بل هي ذات وجوه مختلفة متعددة،.

- مــن هذه الوجوه بلوغه في فصاحة الألفاظ وبلاغة المعاني وجودة النظم مترلة شماء تقف دونها فصاحة البلغاء.
- ومــن تلك الوجوه أيضاً محتواه من الأخبار عن أمور من قبيل الغيب (وقد تحققت فيما بعد).
- ومن تلك الوجوه كذلك ما نجده في القرآن من حجج عقلية قائمة نافذة:

ولنتأمل – على سبيل المثال – الاستدلال في وحدة الخالق في الآيات (الأنبياء: ٢٢)

"لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا".

- "وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ" (المؤمنون ٩١)

ففــي الآيــتين بــرهان واضــح صادق على وجوب وحدة الآلهة، وأن الألوهية تقضي الاستقلال والتصرف في السموات والأرض تغيراً وتبديلاً، وإيجاداً وإعداماً.

كــذلك لنــتأمل هذا الاستدلال على وجود الخالق سبحانه وتعالى: "أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ".

والمعنى كما هو واضح أوجدوا من غير موجد؟ أم هم الذين أوجدوا أنفسهم؟

وواضح أن كل القضيتين غير صحيح. إذن فوجب أن يكونوا صنع مقتدر خالق عظيم.

أما عن التشريعات والمبادئ والقيم التي شرعها رسول الإنسانية – في فترة زمنية وجيزة – وقـــد عبرت القرون والأقطار، ولا تزال قائمة تنبض بالحياة وتنبض الحياة بها... فهي خير دليل على صدق دلائل هذه النبوة.

ولقـــد حـــار العلماء – ولا يزالون – في كشف حُجب[1] هذه الأدلة وإعجازها تارة بالوجدان وتارة بالبرهان، تارة بالفكر المجرد وتارة بالبحث العلمي التجريبي...

ولا شك أهم حين يتأملون هذه الأدلة، سرعان ما تُفتح لهم أبواباً من النظر... ويهديهم النظر والتأمل إلى الاستنباط والاستخراج... ثم إلى النظريات والقوانين العلمية"... ولا يزالون

ومن جانبنا فنعرض هنا لبعض هذه الأدلة الدالة على نبوءة الرسول الأميّ المجتبى[2].

وبالمقارنة والتنظير بين الرسول محمد ﷺ وبين سائر الأنبياء والرسل السابقين له، يمكننا أن نـــستدل على الكثير من الدلائل والحقائق والبراهين التي تدل دلالة قاطعة على مكانة هذا الدين القيّم ، ومكانة نبيّه الرحمة المهداة والنعمة المعطاة: محمد ﷺ.

- فلقد جعل الله عصا موسى ثعباناً، كما كان في التيه يضرب بعصاه الحجر فتنفجّر منه اثنتا عشرة عينا.

(١) من هذه الأمثلة ما أعلنته وكالة الفضاء الأمريكية "ناسا" منذ أربع سنوات أن مركبة الفضاء قد التقطت عدة صور للأرض، وقد بدت فيها كعادتها، مظلمة تماماً فيما عدا بقعتين اثنتين ظهرتا مضيئتين بنور ساطع مبهر، اتضح فيما بعد أنهما الكعبة المشرفة بمكة المكرمة والمسجد النبوي بالمدينة المنورة "وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ"

(٢) لا شك أن أعظم الأدلة على صدق نبوة النبي ﷺ كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب طيلة حياته وإلى وفاته ورغم ذلك خرّج علماء وأئمة وعلم العالم أجمع.

وكان الرسول محمد ﷺ يتفجّر من بين أصابعه في مخضب[١]، فينبع من بين أصابعه الماء، فيشرب القوم ويستقون ماء جارياً عذباً[٢].

- ولقـــد أتى موسى قومه – بعد عصيانهم له – بالعذاب والجراد والقمل والضفادع والدم، وكذلك فقد أرسل الله على قريش الدخان بعد إيذائهم للرسول.
- وكما أنزل الله على موسى المن والسلوى وظلل عليهم الغمام.

فقد أعطى الله الرسول المجتبى الغنائم التي لم تحل لأحد من قبله، كذلك قذف البحر لقومه "دابة حوت" حين أصابتهم المجاعة فأكلوا منه وائتدموا شهراً... كما ثبت أن النفر الكثير كان يشبع من الطعام القليل في أكثر من مناسبة في حضور نبي الأمة.

- كما أخرج الله لصالح ناقة جعلها له على قومه حجة وآية.

فقـــد هيأ الله لرسوله دابة عجيبة هي "البراق" التي لها أجنحة كأجنحة النسر كي تصحبه لـــيلة الإســـراء والمعراج ليشهد ببصريته أنوار الحق وجمال الخير وتجسد الأعمال الإنسانية في صورها الخالدة.

وبعـــد أن انحنت الدابة للرسول المجتبى اعتلاها لتنطلق به انطلاق السهم فوق جبال مكة ورمـــال الصحراء متجهة صوب الشمال ولتقف به عند جبل سيناء حيث كلم الله موسى ثم عند بيت لحم حيث ولد عيسى[٣]... وهكذا...

---

(١) الإناء الذي تغسل فيه الثياب، ولقد روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: "عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله ﷺ بين يديه إناء يتوضأ منه، فأسرع الناس حوله وقالوا: يا رسول الله ليس معنا ماء نتوضـــأ به أو نشربه إلا ما بين يديك، فوضع رسول الله ﷺ يده في الإناء فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا. وقد قيل لجابر: كم كنتم؟! قال: كنا خمس عشرة مائة، ولو كنا مائة ألف لكفانا".

(٢) وكذلك فيما يذكر عن ماء زمزم، وسيأتي الحديث عنه في الصفحات القادمة.

(٣) نشير هنا إلى أن المصطفى قد سار في ليلة واحدة من مكة إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف سنة في أقل من ثلث ليلة.

 كما سخر الله لداود الجبال والطيور يسبحّن معه كما آلان له الحديد.

فقد سبح الحصى في يد الرسول المجتبى حتى سمع حنينهم كحنين النحل.

أعطى الله سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده.

كذلك فقد أعطى الله الرسول مفاتيح خزائن الأرض فأباها وردها اختياراً للتقلل، وإيثاراً لمرتبته ورفعته عند الله تعالى.

وكما خص الله عيسى بن مريم بأن أرسل الروح الأمين إلى أمه حيث تمثل لها بشراً سوياً وقـال: "قَالَ إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا" وأشارت إليه فنطق في المهد.

كذلك أعطى الله رسوله ضروباً من هذه الآيات بشّرت به أمه (آمنة) عند وضعها.

فلقد كانت من دلالات حمل النبي صلاة الله وسلامه عليه، أن كل دابة بقريش قد نطقت تلك الليلة قائلة:

– حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها.

أمـا أمه فقد رددت: أتاني آت حين مّر بي من حملة ستة أشهر، فوكزني برجله في المنام وقال:

"يا آمنة" إنك قد حملت بخير العالمين طراً، فإذا ولدتيه فسميه محمداً....

وعند مولده وقعت آيات عجيبة منها ما قاله اليهودي الذي قدم مكة تاجراً.

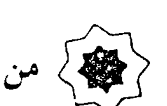
- إنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة، به شامة بين كتفيه فيها شعرات متداليات.

وحين تيقن ذاك اليهودي من الشامة سقط مغشياً عليه وقال:

ذهـــبت والله بني . إسرائيل، ولقد خرج الكتاب من أيديهم، وهذا المولود يقتلهم ويبيّن أخبارهم....

كما حجب الشيطان في تلك الليلة من استراق السمع ورمُوا بالشهب، ونطقت الكهّان والسحرة وعظماء الملوك بما رأت في تلك الليلة ككسرى، الذي ارتج إيوانه.

وأخـــيراً إن كان عيسى عليه السلام يخبر بالغيوب، فقد كان هكذا الرسول ﷺ، إذ أخبر بوفاةِ النجاشي... وأحداث أخرى تجل عن الحصر في هذا المقام.



من الأدلة العلمية على نبوّة الرسول ﷺ:

يتـــضح للباحث المدقق أن مما لا شك فيه أن بين الدعوة المحمدية والطريقة العلمية الحديثة شـــبه قوي وارتباط وثيق، ذلك لأن الطريقة العلمية تقتضي أن تمحو من نفسك كل فكر أو رأي ســـابقة للـــبحث الـــذي أنت بصدده، وأن تبدأ بالملاحظة الموجهة والتجربة المقننة، ثم بالموازنة والترتيب، ثم بالاستنباط على المقدمات العلمية...

فـــإذا وصـــلت إلى نتيجة من ذلك فأنت بصدد **نظرية** ، أو قانون عام لا يأتيه الباطل أو الشك في قليل أو كثير

هذه الطريقة العلمية هي دون شك أسمى ما وصلت إليه الإنسانية في سبيل تحرير الفكر من أجل الوصول إلى الحقيقة بذاتها دون أي خطأ أو تزييف.

ولقد كانت هذه الطريقة هي سبيل محمد ﷺ وأساس دعوته، إذ نزع مؤيدوه ومريدوه من نفوسهم كل عقيدة سابقة وبدءوا يفكرون فيما أمامهم. ولكن كيف كان ذلك؟!!

لقـــد كان لكل قبيلة من قبائل العرب صنم (أو قل معبود) فأي صنم إذن هو الحق، وأي صـــنم إذن هو الباطل؟!!! الوصول للحقيقة يتطلب أن ندع هذا كله جانباً ولنمح أثره من ذواتنا ولنتجرد من كل رأي ومن كل عقيدة موروثة ولننظر من أجل الوصول إلى الحق.

في هذا الصدد يحدثنا الدكتور محمد حسين هيكل[1] فيقول :

"والنظر والملاحظة بطبيعة الحال سيان، مما لا شك فيه أن لكل موجود بسائر الموجودات اتصالا.

فالإنـــسان تتـــصل قـــبائله بعضها ببعض، وأممه بعضها ببعض، فالإنسان يتصل بالحيوان والجماد، وأرضنا تتصل بالشمس وبالقمر وبسائر الأفلاك.

وذلـــك كله يتصل في سنن مطردة لا تحويل لها ولا تبديل. لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار، ولو أن إحدى موجودات الكون تحولت لتبدّل ما في الكون. فلو أن الـــشمس لم تسعد الأرض بالنور والحرارة على السُنّة التي جرت عليها منذ ملايين السنين لتبدلت الأرض غير الأرض والسماء.

وما دام ذلك لم يحدث، فلا بد لهذا الكل من روح يمسكه.

منه نشأ، وعنه تطّور، وإليه يعود.

هـــذا الـــروح وحده هو الذي يجب أن يخضع له الإنسان، أما سائر ما في الكون فهو خاضع لهذا الروح كالإنسان سواء.

والإنسان والكون والزمان وحدة.

وهذا الروح جوهرها ومصدرها.

وإذاً فلتكن لهذا الروح وحدة العبادة....

---

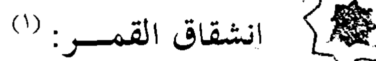
(١) في كتابه "حياة محمد ﷺ".

... وإذا فما يعبد الناس من دون الله (أصناماً وملوكاً وفراعنة وناراً وشمساً... الخ) **إنما هو وهـــم باطل غير جدير بالكرامة الإنسانية، ولا هو يتفق مع عقل الإنسان وما كُرم به من القدرة على استنباط سنة الله من طريق النظر في خلقه**".

والخلاصة أن النبوة المحمدية أنها هي نبوة هداية للعقل وللضمير، وليست نبّوة وهم وتنجيم أو نـــبوة عرافة أو كهانة، كما أنها ليست نبوة قراءة للغيب أو شطحات كذب من بعيد أو قـــريب، بـــل هـــي نبوة علم وصدق صالحة ومواكبة لكل ما تلقى به العصور اللاحقة من مستحدثات أو مستجدات أو مشاكل وأقضيات.

يقـــول المولى العزيز الحكيم في محكم أياته: "وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (الشورى ٥٢)

من الأدلة الكونية على نبّوة الرسول ﷺ:

انشقاق القمـــر: [1]

لا شـــك أن انشقاق القمر للرسول ﷺ آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئ من آيات الأنبياء والمرسلين، فقد حدث أن طلب الكفار من الرسول ﷺ معجزة جلية تدل على صدق نبوءته، وخصصوا بالذكر أن يشق لهم القمر كي يشهدوا له بالرسالة.

وســـأل الرسول ربه أن يعطيه ما طلبوا، فانشق القمر (وقد كان بدراً) نصف على جبل الصفا ونصف على جبل فيقعان المقابل له حتى أنهم رأوا حراء بينهما[1].

(١) ممـــا رواه الـــبخاري عـــن عـــبد الله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقين فقال النبي ﷺ "اشهدوا".

وبهت الذين كفروا وصاح كبيرهم "أبو جهل" قائلاً:

- اصبروا حتى تأتينا أهل البوادي فإن أخبروا بانشقاقه فهو صحيح، وإلا فقد سحر محمد أعيننا، ولما جاءوا وأخبروا بانشقاق القمر وحدوث المعجزة، قال أبو جهل ومن معه من المشركين.

- هذا سحر مستمر

رغم دليل المعجزة الساطعة الواضحة



أدلة أخرى:

فلقد كان جبريل يأتي رسول الله ﷺ في صورة الآدميين (كما كان يأتي الأنبياء من قبله)، ثم سأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه على صورته التي جُبل عليها، فأراه نفسه مرتين، مرة في الأرض ومرة في السماء:

❁ **الأولى** فبالأفق الأعلى – أي جانب المشرق – حين كان رسول الله بحراء، حيث طلع عليه جبريل من ناحية المشرق وفتح جناحيه فسدّ ما بين المشرق والمغرب، وهنا سقط رسول الله ﷺ مغشياً عليه، فنزل جبريل في صورة الآدميين ثم ضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه.

---

(١) وفي رواية مسلم عنه أيضاً: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بـ "منى" إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله ﷺ: اشهدوا. وفي البخاري عن أنس بن مالك رضى الله عنه: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما.

۞ <u>الثانية</u> فكانت خلال رحلة الإسراء والمعراج، عند سدرة المنتهى[1] والتي هي في السماء السابعه فوق العرش، فقد اقترب جبريل من محمد وزاد من القرب منه حيث أوحى إلى **عبد الله** ما أوحى إليه من أوامر الله عز وجل.

هنا رأى الرسول ﷺ جبريل في صورته، (له ستمائة جناح، كل جناح قد سدّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم...

- **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية**: "وأحسن الأدلة العقلية التي بيّنها القرآن وأرشد إليها الرسول، فينبغي أن يعرف **أن أجلَّ الأدلة العقلية وأكملها وأفضلها مأخوذة عن الرسول**".

ومن تلك الوجوه:

- **غزارة حِكَمه ونبوغها**: بحيث جاءت جميعها آخذة بأسباب السعادة التي تسمو بها الأفراد والجماعات إلى: الصدق والصبر والشجاعة والحلم والعدل والوفاء والسخاء.
- وأن محمد ﷺ قد أقام بين أمته شريعة تقرر حقوق هؤلاء الأفراد وهذه الجماعات تشمل بتفاصيلها وأصولها على كل ما يحتاج إليه في فصل القضايا من أحكام هي مظهر الحق والعدل والمساواة.
- كما وأنه حين صرف عنايته في تزكية الأمة الإسلامية والقيام بجهاد وكفاح:
  - **لعدو مهاجم.**
  - **أو لعدو متحفز للهجوم.**

(١) وقد سميت سدرة المنتهى لأنه ينتهي عندها علم الخلائق وجميع الملائكة ولا يعلم أحد ما وراءها إلا الله جل وعلا، وعندها أيضاً الجنة التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين وقد غشيها نور رب العالمين فاستنارت، كما وأن حولها تجتمع الملائكة مسبحين وزائرين (كما يزور الناس الكعبة).

لم يشغله ذلك على أن يقوم الليل متهجداً، ثم يملأ جانباً من سحابة نهاره في عبادة ربه مقطوعاً.

- كما وأننا نراه رجلاً زاهداً في متاع هذه الدنيا.

وفي هذا الصدد يحدثنا العلامة الشيخ محمد خضر حسين[1] فيقول:

"ولو كان للشهوات عليه من سبيل لذهبت به في ابتغاء العيش الناعم مذهب أولئك الذين يتظاهرون بالزهد إذا لم يجدوا، حتى إذا ما أيسروا، ورأوا زهرة الحياة الدنيا طوع إيمانهم خلعوا ثوب الزهد وتحولوا إلى طبيعة الشّره كثيراً أو قليلاً.... إننا إذا نظرنا لهذا المصلح الكبير والمشرح الخطير والمجاهد الظاهر نجده: طلق اليد إذا بذل واسع الحلم إذا أوذي، صادق اللهجة إذا حدث وبعبارات أوجز نجده المثل الأعلى لكل خصلة تطمح إليها الهمم الكبيرة".

وكذلك مشاركة الملائكة في الغزوات ضد الكفار مثل: غزوة بدر وأحد والخندق وحنين. وقد تجلى ذلك في قوله تعالى: "فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" [الأنفال: ١٧].

وأيضاً حين زلزل جبل أحد وارتجف، وكان فوقه الرسول ﷺ وسيدنا أبو بكر وعمرو بن الخطاب وعثمان بن عفان. وهنا قال الرسول ﷺ.

"اثبت أُحد فإن عليك نّبي وصديقاً وشهيدين".

وثبت الجبل، أما الشّهيدين فقد كانا: عمر بن الخطاب حيث قتله أبو لؤلؤة، وعثمان بن عفان الذي قُتل في داره شهيداً[2]

---

(١) ولد هذا العالم الكبير في تونس سنة ١٨٧٣م من أسرة علم وصلاح وتقوى – وقد حصل على العالمية من جامعة الزيتونة في العلوم الدينية والعربية.

(٢) وقد سقطت رأسه على المصحف، وكانت أول قطرة من وجهه قد سقطت عند قوله تعالى: **"فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم"** وكان قد وصل إليها في التلاوة.

علاقة رسالة النبي ﷺ بالرسالات السابقة عليه منذ آدم عليه السلام

علاقة رسالة النبي ﷺ بالرسالات السابقة!

قال المغيرة بن شعبة في خروجه إلى المقوقس مع بني مالك، وأنهم لمّا دخلوا على المقوقس قال لهم:

- كيف خلصتم إليّ من طلبتكم، ومحمد وأصحابه بيني وبينكم؟ قالوا:
- لصقنا بالبحر وقد خفناه على ذلك. قال:
- كيف صنعتم فيما دعاكم إليه؟ قالوا:
- ما تبعه منا رجل واحد قال:
- لم؟ قالوا:
- جاءنا بدين محدث لا تدين به الآباء، ولا يدين به الملك، ونحن على ما كان عليه آباؤنا. قال:
- كيف صنع قومه؟ قالوا:
- اتبعه أحداثهم وقد لاقاه من خالفه من قومه، وغيرهم من العرب في مواطن، مرة تكون عليهم الدّيرة (الهزيمة في القتال) ومرة تكون له.

قال:

- ألا تخبروني وتصدُقوني؟ إلى ماذا يدعوا؟ قالوا:
- يدعو إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونخلع ما كان يعبد الآباء، ويدعو إلى الصلاة والزكاة. قال:
- وما الصلاة وما الزكاة؟! ألهما وقت يعرف وعدد ينتهي؟ قالوا:
- يصلون في اليوم والليلة خمس صلوات، كلهما لمواقيت وعدد، سموه له، ويؤدون في كل مال بلغ عشرين

مثقالاً، مثقالاً، وكل إبل بلغت خمساً، شاة، وأخبروه بصدقة الأموال كلها. قال:

- أفرأيتهم إذا أخذها أين يضعها؟ قالوا:
- يردها على فقرائهم، ويأمر بصلة الرحم ووفاء العهد، وتحريم الربا والزنا والخمر، ولا يأكل مما ذُبح لغير الله تعالى. قال:
- **هـــو نبي مرسل إلى الناس كافة، ولو أصاب القبط والـــروم تبعوه، وقد أمرهم بذلك عيسى ابن مريم وهـــذا الذي تصفون منه بعث به الأنبياء من قبله، وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد، ويظهر دينه إلى منتهى الخف والحافر، وتنقطع البحور، ويوشك قومه يدافعونه بالرماح.** ثم قال:
- كيف نسبه في قومه؟! قلنا:
- هو أوسطهم نسباً... قال:
- كذلك المسيح والأنبياء عليهم السلام تبعث في نسب قومها... وسأل: كيف صدقه في حديثه؟!

قلنا:

- ما يسمى إلاّ الأمين من صدقه. قال:
- انظـــروا في أمركم، أترونه يصدق فيما بينكم وبينه، ويكذب على الله؟! ثم سأل: فمن اتبعه؟

قلنا:

- الأحداث قال:
- هم – والمسيح – أتباع الأنبياء قبله... ثم سأل:
- فما فعلت يهود يثرب؟! فهم أهل التوراة قلنا:

- خالفـــوه، فأوقع بهم فقتلهم وسباهم وتفرقوا في كل جهة. قال:

- هم حسدة حسدوه، أما أنهم يعرفون من أمره مثل ما نعرف.

قال المغيرة: فقمنا من عنده وقد سمعنا كلاماً ذلّلنا لمحمد ﷺ وقلنا: ملوك العجم يصدقونه ويخافونه في بُعد أرحـــامهم، ونحن أقرباؤه وجيرانه لم ندخل معه، وقد جاءنا داعياً إلى منازلنا.

ثم قال: فرجعنا إلى منازلنا فأقمت بالإسكندرية لا أدع كنيـــسة إلاّ دخلتها وسألت أساقفها، من قبطها وروم‍هـــا عن صفة محمدﷺ، وكان أسقف من القبط هو رأس **كنيسة أبي غني** كانوا يأتونه بمرضاهم فيدعو لهـــم، لم أر أحـــدا قط يصلي الصلوات الخمس أشد اجتهاداً منه، فقلت:

- أخبرني هل بقى أحد من الأنبياء؟! قال:

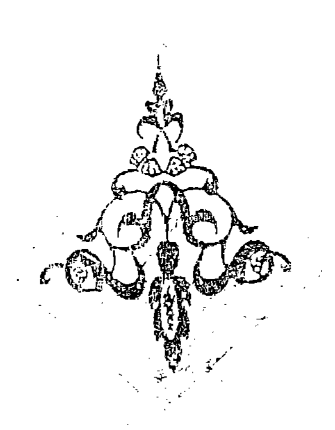
- **نعـــم، وهو آخر الأنبياء، ليس بينه وبين عيسى ابن مـــريم أحد، وهو نبي قد أمرنا عيسى باتباعه، وهو الـــنبي الأمـــي العربي، اسمه أحمد، ليس بالطويل ولا بالقـــصير، في عينيه حمرة، ليس بالأبيض ولا بالآدم، يعفى شعره، ويلبس ما غلظ من الثياب، ويجتزئ بما لقى من الطعام سيفه على عاتقه، ولا يبالي من لاقى، يباشر القتال بنفسه ومع أصحابه، يفدونه بأنفسهم، هـــم لـــه أشد حباً من أولادهم وآبائهم، يخرج من أرض القرظ (شجر يسمى أيضاً بشجر السّلم) ومن حرم إلى حرم، يهاجر إلى أرض سباخ (لم تحرث بعد) ونخل يدين بدين إبراهيم عليه السلام.**

وهنا قال المغيرة بن شعبة:

- زد في صفته قال الأسقف:

- يأتزر على وسطه، ويغسل أطرافه، ويخص بما لم يخص به الأنبياء قبله... بعث إلى الناس كافة، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً، أينما أدركته الصلاة تيمم وصلى، ومن كان قبله مشدداً عليهم لا يصلون إلا في الكنائس والبيع.

قال المغيرة: فوعيت ذلك كله من قوله وقول غيره، فرجعت إلى النبيﷺ فأسلمت.



تقـــديم:

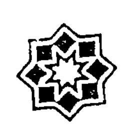
وعـــد الله سبحانه وتعالى إبراهيم النبي (عليه السلام) بأن تتبارك الأمم من نسله، وأنه عز وجل قد اختار لتحقيق هذا الوعد: نسل إسماعيل ونسل إسحق (عليهما السلام) ولقد جاء في الـــتوراة قـــول رب العزّة لإبراهيم عن إسماعيل: "وأما **إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا** أباركه".

كما يقول لإبراهيم عن إسحق:

"ساراي امرأتك لا تدعوا اسمها "ساراي"، بل اسمها سارة وأباركها

وفي التوراة أيضاً يقول رب العزة ليعقوب عليه السلام:

"أنـــا الرب إله إبراهيم أبيك، وإله إسحق، الأرض التي أنت مضطجع عليها، أعطيها لك ولنـــسلك، ويكون نسلك كتراب الأرض، وتمتد غربا وشرقا وشمالاً وجنوباً، ويتبارك فيك، وفي نسلك جميع قبائل الأرض"



أوصاف النبي القادم من بني إسماعيل: (وكما وردت في التوراة)

أوضـــحت التوراة أوصاف النبي القادم من بني إسماعيل كي تتبارك في نسله كما تباركت في نسل بني إسحق من قبل.



هذه الصفات كما وردت:

١- نبّـــي ومـــن بني إخوة بني إسرائيل (أي من بني إسماعيل) وهو مثل موسى وناسخ لشريعته.

٢- إنه نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب.

٣- أنه أمين على الوحي.

٤- وأنه لن يُقتل.

٥- وأنه سوف يقضي على بني إسرائيل إذا لم يؤمنوا برسالته.

٦- وأنه سوف يتحدث عن غيبيات ستحدث في المستقبل القريب والبعيد.

يحدثنا العالم الجليل الدكتور أحمد حجازي السقا في هذا الصدد فيقول[1]

"ولأن اليهود لا يودون أن يترل على الناس خير من ربهم حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق، زعموا: أن هذا النبي المنتظر إلى الآن لم يأت، وإذا أتى فإنه سيكون من بني إسرائيل أنفسهم"

وهــذا منهم تحريف للكلم عن مواضعه، لأن التوراة نصت على أنه لن يأتي في مستقبل الأيــام نبّي من بعد موسى مماثلاً له، وحيث نصت شريعة موسى على أن المماثل لموسى لن يكون من بني إسرائيل، وحيث نصت شريعة موسى على أن بركة الله للأمم في نسل إبراهيم، هي على حد سواء بين بني إسماعيل وبين بني إسرائيل، فإن النبي المنتظر الذي وعد به موسى مماثلاً له: هو نبي الإسلامﷺ إذ لم يأت من نسل إسماعيل نبي ذو شريعة إلا هو".

ولقــد أنكر **اليهود** – كعادهم – ظهور هذا النبي حتى الآن، وأنه إذا ما ظهر فسيكون من بني إسرائيل لا سواهم[2].

أما النّصارى فقد قالوا: "أن هذا النّبي هو عيسى بن مرين وقد جاء... ولا نبّي من بعده حتى يوم القيامة".

---

(١) في كتابه: البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل.

(٢) ومن المعلوم أن ثمة خلافات بين اليهود السامريين وأقراهم العبرانيين، فالمجموعة الأولى تقول: "ولا يقوم" أيضاً نبي في إســرائيل كموسى"، في حين تقول المجموعة الثانية "إن المثلية الممنوعة لبني من بني إسرائيل هي في صفة واحدة فحسب ألوا وهي: الكلام المباشر بين الله وبين موسى.

ولنا أن نتساءل:

كيف استدل المسلمون على صحة نبوّة محمدﷺ؟. وهل كانت له معجزات حسّية كمعجزات الأنبياء والرسل السابقين عليه، كي يؤمن الناس بما يقول؟!

نقول: أن معجزة الإسلام الكبرى كتاب أحكمت آيات ثم فصلت من لدن حكيم خبير، كتاب له الإعجاز: البياني والغيبي والتشريعي والعلمي

كتاب يحتوي على معارف وعلوم لا تنقض بعضها بعضاً، كل لفظ فيه موضوع على المعنى المناسب بدقة وإحكام، لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثلها ولو طلبوا مساعدة الجن لهم.

ولا شك أن عجز العرب بل عجز العالم دليل على أن القرآن من عند الله، وأن نبي الإسلام حق.

هذا ويمكن تلخيص الدلائل على صدق النبوة المحمدية في النقاط التالية:

- تنبؤات التوراة والإنجيل عنه كما سنوضح
- انتفاع أهل الدنيا بدعوته **أكمل من انتفاع سائر الأمم والشعوب بدعوة سائر الأنبياء،** وحيث أنهم به انتفعوا، إذن يكون نبياً، والسبب أنه أقدر على الكمال في نفسه بمعرفة الله وطاعته.
- الإخبار عن الغيبيات.
- المعجزات الحسية (والتي يرى بعض المتفقهين أنها تربوا على الألف معجزة) ولنبدأ بنبوءات التوراة:

أولاً: نبوءات التوراة عن رسول الإسلامﷺ:

ثمة نبوءات عديدة في التوراة **عن نبّي واحد** سيأتي من بعد موسى ليقيم الدين.

ففـــي الإصـــحاح الثامن عشر (من سفر التثنيه) نقرأ "**أقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم. مثلك**، واجعل كلامي في فمه، **فيكلمهم بكل ما أوصيه به** (تث ١٨: ١٨)

ومن المعروف أن هذا النبي الأمي قد أطلق عليه بنو إسرائيل لقب: "**المسيا**"[١]، وقد أشاع اليهود أن هذا النبي الأمي سيظهر من بني إسرائيل غير أن الله أرسل "يحيى" و "عيسى" عليهما السلام ليعرّفا الناس بأن هذا النبي لن يظهر من بني إسرائيل، بل سيظهر من بني إسماعيل، ذلك لأن الله قد بارك فيه كما بارك في أخيه إسحق (ولدي سيدنا إبراهيم).

وتأكـــيداً لذلك نطق عيسى باسم النبي الأمي وهو "محمد" في رواية برنابا (ولقبّه بالروح القدس أي الذي سيستمد قوته من الله القدوس). كما نطق أحمد في رواية لوقا ويوحنا ولكن كان لليهود موقف.

موقف اليهـــود:

ولما تأكد اليهود من كلام عيسى ويحيى ومعجزاتهما، وزوال النبوة منهم، قال بعضهم:

"تختم النبوة في جنسنا من الآن وإلى الأبد في شخص المسيح عيسى بن مريم، ولندعي أنه هو النبي الأمي المكتوب في الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنيه بدل ختمها في بني إسماعيل بمحمد[٢].

---

(١) المسيا: لقب معظّم يطلقه اليهود على: إما ملوكهم أو علمائهم أو أنبيائهم.

(٢) وذلـــك بغرض غلق باب النبوة في وجه محمدﷺ إلى الأبد. وجدير بالذكر أن نبيّن أن العالم المحقق المرحوم أحمد زكـــي باشا الموسوعي والمعروف بتدقيقه وسعه اطلاعه قد نشر في جريدة البلاغ (قبل وفاته بعام) أنه استطاع أن يـــصل إلى نـــسخة قديمة من التوراة ذكر فيها **اسم محمد رسول الله**، وروى أن **شلبي السامري** (وهو من يهود السامرين) عنده نسخة من التوراة منقولة عن أقدم نسخة من التوراة تحتفظ بها طائفة السامرين المتوطنة في مدينة نابلس. (لعلنا نحظى يوماً بنسخة من هذه التوراة فيتأكد البرهان الذي نسعى إليه).

ولـــسنا هنا بصدد الكشف عن دور اليهود في نشر الفاحشة على الأرض ونسبتهم كل ألوان الجرائم إلى أنبيائهم، كمـــا لسنا بصدد ما جاء في التلمود عن الأمميين، فليس هذا من صميم بحثنا، ولكننا نكتفي بالإشارة لذلك فقط حتى تتحقق النظرة التاريخية وتكتمل.

وقال بعض آخر، وقد اعترفوا بما هو مكتوب في الأسفار:

"إذا ما ظهر فإنه يسهل علينا رده بأنه ليس هو، إذ من الممكن أن يظهر فيما بعد"[1]

رأى علماء بني إسرائيل في اسم "محمد" صلى الله عليه وسلم

هذا، يرى كثيرون من علماء بني إسرائيل أن اسم (محمد)ﷺ في التوراة قد ورد في سياق بركة إسماعيل عليه السلام بحساب "**الجمل**".

قالوا: إن قول الله عز وجل لإبراهيم:

"وأمـــا إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه، وأثمره، وأكثره كثيراً جداً اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة" (تكوين ١٧: ٢٠).

كما قال العلماء: إن (كثيراً جداً) في اللغة العبرانية: "بماد ماد" وأن "أمة كبيرة" في اللغة العبرانية "**لجوى جدول**" وبماد ماد بحساب الجمل: تساوي حساب حروف "**محمد**".

و "**لجوى جدول**" بحساب الجمل: تساوي حساب حروف "**محمد**"[2]

---

(١) ومن المعلوم أنه حين رجع اليهود من سبى بابل ادعى العبرانيون منهم، أن الملقب بلقب **المسيا** سيأتي من نسل داود من سبط يهوذا، غير أنه حين ظهر عيسى عليه السلام وتّبين أنه لن يكون من نسل داود وقد أرادوا ختم النبوة في جنـــسهم، ادعوا أن عيسى هو النبي الأمي **المسيا**، وغيروا نسبه من هارون من سبط لاوي إلى داود عليه السلام، وكتـــبوا في ســـفر الأعمال ما يؤكد ذلك (أع٢: ٢٩ – ٣٦) مع أن عيسى قد قال لهم: إن داود نفسه في سفر الزبور عّبر عن **المسيا** بأنه سيده، وحيث أن الابن لا سيكون سيداً لأبيه، **فالمسيا** إذن ليس من داود (مت ٢٢: ٤١ – ٤٦) ويكـــون من **إسماعيل** لأن له بركة منصوص عليها في سفر التكوين. ومن العجيب أيضاً أننا نرى أن كل النبوءات التي نطقها عيسى عليه السلام عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم قد طبقها بولس على مجيء المسيح في آخر الزمان بالملك الروحي".

(٢) نود أن نوضح أن حساب الجمل كان من الأهمية بمكان في الأمم القديمة قبل ظهور الإسلام، وحساب الجمل هو الحـــساب بالحـــروف الأبجدية، وطريقته تختلف عند اليهود العبرانيين والسامريين، وتختلف عند العبرانيين المشارقة والمغاربة. (انظر مجلة الأزهر عدد مايو سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ميلادية). ومن المعلوم أن هذا الحساب لا يزال مستخدماً لدى اليهود العبرانيين والسامريين إلى الآن.

أوصاف النبي المنتظر في سفر التثنية:

في سفر التثنيه نبّه موسى (عليه السلام) إلى أن النبي المنتظر والمرتقب – والذي تحدثت عنه النبوءة[1]، لا بد وأن تتحقق فيه أوصافاً تسعة هي:

١– نبّي.

٢– من بين إخوة بين إسرائيل، أي من بني إسماعيل (ص ٧ تنقيح الأبحاث).

٣– مثل موسى.

٤– ينسخ شريعة موسى.

٥– أميّ لا يقرأ ولا يكتب.

٦– أمين على الوحي.

٧– سيقضي على ملك بني إسرائيل.

٨– لا يقتل.

٩– يتحدث عن غيب فيكون.

ونمضي قدماً لكي نتيقّن من تطابق تلك الأوصاف على رسول الإسلام: النبي الأمي (محمد ﷺ)

---

(١) ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله سبحانه عز وجل في سورة الأعراف، إذ يقول: "ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ"، هنا يشير المولى الكريم إلى نص التوراة ألا وهو: "يقيم لك الرب إلهك نبياً... الخ" (تثنيه ١٨: ١٥ – ٢٢) وإلى نص الإنجيل وهو "النبي أنت؟! فأجاب لا" (يوحنا ١: ١٩-٢١).

۞ الوصف الأول: نبـــيّ

وإنـــنا لـــنجد أن هذا الوصف مشترك بين عيسى بن مريم، ومحمد بن عبد الله (عليهما السلام)

ففي إنجيل (متى ٢١: ٤٦) نقرأ :

"لأنه كان عندهم مثل نبي"

وفي القـــرآن الكريم (سورة الأحزاب) نقرأ: "يَـٰٓأَيُّهَا **ٱلنَّبِىُّ** إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا "

فكـــل واحد منهما إذن نبي ومعه معجزاته، ولكن انطباق الوصف على نبي الإسلام ﷺ أحق وأولى كيف؟!!

في هذا الصدد يحدثنا الأستاذ الدكتور/ أحمد حجازي السقا فيقول:

"... لأن عيسى – عليه السلام – في نظر أتباعه من سنة ٣٢٥ ميلادية **هو الله نفسه** مع كـــونه **نبياً** في نظر الأرثوذكس، وهو إله من آلهة ثلاثة – مع كونه نبياً – في نظر الكاثوليك والبروســـتانت أما محمد ﷺ في نظرنا نحن المسلمين فلم يزد عن كونه "بشراً رسولاً"، ولا يحق لليهود أن ينكروا هذا الوصف على نبي الإسلام ﷺ، لأن من شروط النبيّ عندهم: إتيان النبي بمعجزات[1].

---

(١) وكما هو معروف فمن شروط المعجزة: أ- أن لا يقدر العباد عليها ولا على مقاربها.

ب- ناقضة للعادة.

ج- في زمان تكليف.

د- في حال دعوة النبوة

هـــ- تكون بأمر الله.

لقد أتى النبي ﷺ الأمي بالقرآن الكريم[1]:

- **الذي هو شريعة وأخبار وآداب.**
- **والذي كان في علم الله قبل كل الأزمنة.**
- **والذي هو يحوي الأزمنة كلها وكأنه يوجد معها كلها دون أي ريب.**
- **والذي يعني أنه هداية إلهية في أسلوب إنساني يحمل في نفسه دليل إعجازه.**
- **والذي يعني انفراده في التاريخ بأنه منذ أنزل لا يبرح في كل عصر يظهر ثلاث نواحي صادقة تمام الصدق ومطابقة له: ناحية الماضي، وناحية الحاضر، وناحية المستقبل.**

تنـــويه: من المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قبض ولم يفسر من القرآن إلا قليلاً جداً لحكمة غاية في الأهمية.

في هذا الصدد يحدثنا الأديب الرافعي فيقول:

"... وهـــذا وحده يجعل كل منصف يقول: أشهد أن محمداً رسول الله، إذ لو كان ﷺ فـــسر للعـــرب بمـــا يحتمله زمنهم وتطبيقه أفهامهم، لجمد القرآن جموداً تهدمه عليه الأزمنة والعـــصور بآلاتها ووسائلها، فإن كلام الرسول نص قاطع. ولكنه ترك تاريخ الإنسانية يفسر كـــتاب الإنسانية، فتأمل حكمة ذلك السكوت. فهي إعجاز لا يكفر فيه إلا من قلع مخه من رأسه"[2].

---

(١) فيما يتعلق بالمعجزات الحسية فإننا سنتعرض لها في الفصل القادم.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (المكتبة العصرية).

۞ الوصف الثاني:

"مـــن بين أخوة بين إسرائيل، أي من بني إسماعيل" : "من وسطك من إخوتك" – "من وسط أخوتهم".

من الواضح في المعنى أن هذا النبي إذا جاء فإنه سيكون من بني إبراهيم عليه السلام، لا من نسل غير نسله

۞ الوصف الثالث:

مثل موسى

"من أخوتك مثلي" – "من وسط أخوتهم مثلك"

ولنتأمل حقائق التاريخ:

لقد أخاف موسى أهل مصر، ومن آيات ذلك ما جاء بالتوراة:

- ثم قـــال الرب لموسى: مد يدك إلى أرض مصر لأجل الجراد، ليصعد على أرض مصر، يأكل كل عشب الأرض، كل ما تركه البرد (خر ١٠: ١٢).
- "فمد موسى يده نحو السماء، فكان ظلام دامس في كل أرض مصر ثلاثة أيام (خر ١٠: ١٢) يمــوت كــل بكــر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الجارية التي خلف الرحى وكل بهيمة" (خر ١١: ٥).

هكذا كانت المعجزات التي أجراها الله أمام فرعون مصر على يد عبده موسى عليه السلام (وبخلاف العصا التي صارت حية في طور سينا وثعبانا في مصر... وغير ذلك)

وإننا لنجد أن رسول الإسلام قد أخاف صناديد قرش الغلاظ الجفاة ؟؟، فلم يستطع أحد مـــنهم أن يـــصيبه بأذى. كما قال رب العزة في سورة المائدة "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ

إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ"

وكما نجا موسى من فرعون، فقد نجا رسول الإسلام من صناديق وجبابرة أهل مكة الذين كانوا يتآمرون عليه دوماً، وما كانوا يتوقعون له النجاة...

وكما استغاث أصحاب موسى بالرب بعد هروبهم من بطش فرعون، وكما جاء في التوراة: "**فلما اقترب فرعون رفع بنوا إسرائيل عيونهم، وإذا بالمصريين راملون وراءهم، ففزعوا جداً، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب... الخ**" (خروج ١٤: ١٠) كما وأن صورة مماثلة عند المسلمين لذلك تماما فلقد استغاث أصحاب النبي حين اقترب منهم صناديد أهل مكة وكبار قادتها، ولقد وضحت في سورة الأنفال، حيث نقرأ

"إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ"

ولقد كان نصر موسى على فرعون معجزة خارقة للطبيعة كذلك فإن نصر رسول الإسلام عند دخوله مكة المكرمة معجزة خارقة للطبيعة أيضاً.

كما وأن حقائق التاريخ تؤكد لنا أن موسى عليه السلام كان بطل حرب وكان دوماً منصوراً نصراً مؤزراً فقد هزم المصريين هزائم نكراء، ثم خرج بعد ذلك من أرضهم سليما معافياً، كما حارب قبائل بدو جزيرة سيناء، والمدن المحصنة وانتصر أيما انتصار... ففي سفر التثنيه (٣: ١-٥) نقرأ النص التالي:

"وصعدنا في طريق باشان، فخرج **عدج** ملك **باشان** للقائنا هو وجميع قومه للحرب في أذرعي، فقال لي الرب، لا تخف منه لأني قد فدعته إلى يدك وجميع قومه وأرضه فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين الذي كان ساكناً في حشبون فرفع الرب إلهنا إلى أيدينا **عدج**

ملك باشان، وجميع قومه فضربناه حتى لم يبق له شارو وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت، لم تكن قرية لم تأخذها منهم..."

كذلك يروي لنا التاريخ أن الرسولﷺ قد خاض سبعاً وعشرون غزواً[1]، حتى دانت له جزيـرة العـرب كاملـة[2]، وفي محكم التريل يقول المولى عز وجل في سورة التوبة: "لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ" (سورة التوبة)

كما يقول في سورة الأنفال: (الآية ٤٤) "وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ"[3]

ولقد انتصر الرسول وأصحابه في جميع الغزوات (والتي كانت ضد كفار قريش ومشركي الجزيرة وعبدة الأصنام واليهود المعتدين) والتي كانت من أجل استرداد الحقوق وقمع العدوان

---

(١) وتقدر عدد السرايا التي كان يرسلها لاعتراض الأعداء (سواء حدث فيها قتال أم لم يحد) نحو ثمان وثلاثين سرية

(٢) تجدر الإشارة هنا إلى أن جيوش المسلمين حين وجهت لغزو الروم فقد كانت في نفس الأراضي المقدسة التي كان يريدها موسى عليه السلام، وقد قام بذلك وعلى سنة الرسول: الصديق أبو بكر، ثم عمر بن الخطاب.

(٣) تشير الآية الكريمة إلى المعنى: واذكروا يا معشر المؤمنين حين التقيتم في المعركة فقلل الله عدوكم في أعينكم لتزداد جـرأتكم عليهم، كما قللكم في أعينهم حتى لا يستعدوا ويتأهبوا لكم. وهذا من عظائم آيات الله في تلك الغزوة ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، كما وأن مصير الأمور كلها إلى الله يصرفها كما يريد وأنه الحكيم المجيد.

ورد المظـــالم وتأديــب الطغاة الظالمين وناكثي العهد كما وأنها كانت حماية لدين الله وبسط العدل في ربوع الأرض قاطبة[1].

الوصـــف الرابع:

ينسخ شريعة موسى "له تسمعون"

تقـــديم: من المعلوم أن عيسى بن مريم عليه السلام جاء مصدقاً للتوراة غير ناسخ لحكم من أحكامها، وهذا واضح تماماً في إنجيل (متى: ١٧)!! **"لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس".**

أما رسول الإسلام فقد جاء مقراً للبعض منها وناقضاً للبعض الآخر.

---

(١) ولقـــد كان القائد الرائد، المثل الأعلى والقرآن المتحرك يردد لجنده دوماً: أغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا"، كما كان يأمر أمير سريته بأن يدعو عدوه قبل القتال: إما إلى الإسلام والهجرة، أو إلى الإسلام دون الهجرة، وذلك وفق الأمر الإلهي في سورة النحل: **"ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم"** كما تجدر الإشارة إلى أن الرسول الكريم قد انتصر في جميع الغزوات حتى غزوة أحد التي يتصور بعض الباحثين بأنه انتصار في البداية وهزيمة في النهاية، ولكننا نؤيد ما ذهـــب إلـــيه العلامة الهندي مولاي محمد علي في أنه: إذا كان النصر قد عُقد للمشركين في نهاية الأمر فلماذا لم يدخلوا المدينة والتي كانت بدون دفاع يذكر؟!

- وإذا كـــان النـــصر قد عقد للمشركين فإننا نسأل: ولماذا تعقبهم المسلمون في اليوم التالي حتى موضع "حمراء الأسد؟!
- وإذا كان الأمر هكذا فهل يثبت المغلوب في أرض القتال في حين يفر المنتصر ويولي الأدبار؟!!
- إذا كان الأمر كذلك فهل عاد المشركون بأسير واحد أو أية غنائم أخرى؟!!
- لعلـــها إذن مثوبة لصبر الرسولﷺ بعد أن فقد رفيق أيام طفولته وشبابه وأخيه في الرضاعة أسد الله: حمزة بن عـــبد المطلـــب. لعلـــها درســـاً من دروس النبوة وتطبيقاً عملياً لآيات الله سبحانه وتعالى: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ" (سورة الحج) ومن أصدق من الله قيلاً؟!

يقول الله عز وجل في سورة المائدة:

"وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ"

أي أنـــزلنا يا محمد القرآن بالعدل والصدق الذي لا ريب فيه، ومصدقاً للكتب السماوية التي سبقته ومهيمناً عليها أي مؤتمنا عليها وحاكماً على ما قبله من الكتب[١].

الوصف الخامس

أمي لا يقرأ ولا يكتب

"واجعل كلامي في فمه" أي يكون نبياً أمياً

يقـــول المـــولى جل شأنه في محكم التنزيل (في سورة الجمعة) "هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ".

ومن وجهة نظر الإسلام أن فالمقصود "بالنبي الأمي" هو نبي الإسلام[٢]، ذلك لأنه لم يكن قارئـــاً ولا كاتباً، وقد قال تعالى في سورة العنكبوت: "وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ" وتجدر الإشارة هنا أنه على الرغم من أمية **نبي الإسلام** فقد كانت ألفاظ النبوة (كما يحدثنا عنها الأديب الرافعي)"

---

(١) ويقـــول الزمخـــشري: أي رقيبا على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات. ويقول ابن كثير: اسم المهيمن يتضمن ذلك فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جمع الله فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره.

(٢) وليس بالطبع عيسى بن مريم عليه السلام فقد كان منذ صغره في هيكل سليمان يتعلم التوراة والحكمة وكما ورد في الأناجيل فقد كان عيسى من علماء بني إسرائيل الهارونيين الكبار والملقبون بالربانيين

يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائق فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله محكمة الفصول... وكأنما هي في اختصارها وإفادتها نبضُ قلب يتكلم وإنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره ﷺ، إن خرجت في الموعظة قلت أنين من فؤاد مقروح، وإن راعت بالحكمة قلت صورة بشرية من الروح في مُنـزع يلين فينفر بالدموع ويشتد فينـزو بالدماء وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض، أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السماء"[1].

الوصف السادس

"أمين على الوحي"

"فيكلمهم بكل ما أوصيه به"

يفسر لنا الدكتور أحمد حجازي السقا حقيقة ذلك الأمر، فيقول:

"هذا الوصف منطبق على نبي الإسلام وعيسى عليهما السلام، وانطباقه على نبي الإسلام ﷺ أحق وأولى. لأن عيسى عليه السلام من بني إسرائيل، وهو وغيره من أنبياء بني إسرائيل لا يحتاجون لهذه التزكية وتلك الشهادة، لأن أي نبي منهم إذا جاء على وفق التوراة فإن التوراة تشهد بصدقه، وإذا جاء مخالفاً لها، فإن التوراة تبيح لليهود أن يرفضوه. واستدل على ذلك بالتهمة التي وجهها اليهود لأول شهيد في النصرانية، ففي سفر الأعمال: "**وأقاموا شهوداً كذبة يقولون: هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلم كلاماً تجديفاً ضد هذا الموضع المقدس والناموس**. لأننا سمعنا يقول: إن يسوع الناصري هذا سينقض هذا الموضع، ويغير العوائد التي

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.

سلمنا إياها موسى (أعمال الرسل ٦: ١٣-١٤). فلو كانت العوائد التي سلمهم إياها موسى محل نقض من نبي منهم ما كان للاتهام معنى...

ويستطرد الباحث:

ولو تأمل المتأملون في كلام الإنجيل فإنهم سيجدون أن عيسى عليه السلام قد أمر باحترام التوراة والعمل بها وصحح لهم ما كانوا فيه يختلفون، إذ لم يأت هو بجديد على ما عندهم. ما آتى إلا بتفسير وإيضاح.

ثم يتساءل الباحث: وفضلاً عن ذلك فأين هو إنجيله حتى نعلم ما فيه؟!!!

ويلقي الباحث في نهاية الأمر بحقيقة غاية في الأهمية إذ يقول" **"لا نجد إلا أناجيل منسوبة إلى تلاميذ يؤرخون لحياته وما وقع بينه وبين اليهود، وهي لا تتفق في كثير من المعاني!!!"**

أما في الإسلام، فحين قال أهل مكة:

يـــا محمد: آتنا بقرآن غير هذا، ليس فيه ما نكرهه عن عيب آلهتنا وتسفيه أحلامنا، أو بدله بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة ومكان سب آلهتنا مدحهم، ومكان الحرام حلالاً... الخ

فقـــد نزلت الآيات البينات في سورة يونس: "قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ"

وهكـــذا كان **نبي الإسلام** أميناً على وحي السماء، حريصاً على تبليغ رسالة رب العرش الذي اصطفاه لرسالته وخصه بكتابه ونَصَبه لبيانه.

"وإنك لعلى خلق عظيم"

الوصف السابع

سيقضى على مُلك بني إسرائيل

ويكـــون أن الإنسان الذي يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه "- أنا أطلب منه" – "فإني أحاسبه عليه".

يذكر التاريخ أن عيسى بن مريم عليه السلام لما أخبر اليهود أن النبوة قد انتقلت منهم إلى أمة أخرى... (الأمة التي يرفضها اليهود بل ويحتقرونها لأن الأم في نظرهم جارية لإبراهيم) لم يستبعدوا ذلك فحسب بل طلبوا قتله وهلاكه.

وقد حدث بعد رفعه إلى السماء أن اضطهدوا أتباعه وعذبوهم أشد عذاب[1]... ثم هاجر فريق منهم إلى أرض العرب وصارت لهم هناك الديار والحصون والزروع وغير ذلك...

وحـــين بزغ فجر الإسلام حاربهم رسول الله ﷺ وهزمهم تماماً، وأرسل سراياه للاستيلاء علـــى الأراضـــي المقدسة (التي كان الله قد كتبها لهم)، وقُضى على ملكهم، وفتحت مدينة أورشـــليم (القـــدس) وكتب المسلمون كتاب صلح لبطريرك النصارى والذي نص **على ألا يدخل أورشليم يهودي أبد الدهر.**

ومـــنذ ذلك الحين يمكن القول: **أنه قد زالت بركة إسرائيل في الأمم حيث لا مُلك لهم ولا شريعة ولا قرار.**

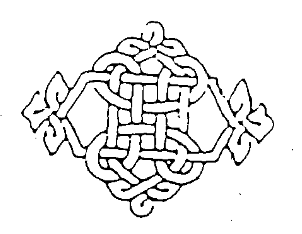
نص كتاب الصلح لبطريرك النصارى: (نوردها هنا كي يعلم أهل الأرض قاطبة كيف كانـــت تمضي سنن هذا الدين القّيم منذ عهوده الأولى، سواء على يد رسوله الرحيم أم من سار على نهجه الأمين".

(١) يذكر أحد المؤرخين ما نصه: إن اليهودية يمكن أن تُفسد إذا كان وراء ذلك مصلحة لشعب الله المختار.

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى "عبد الله عمر" أمير المؤمنين، أهل إيلياء – القدس – من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلباهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن ولا هدم، ولا ينقص منها، ولا من حيزها، ولا من صلبهم، ولا من شئ من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم.

ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت[1]، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله، حتى يبلغوا مأمنهم – ومن أقام منهم فهو آمن. وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم.

ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، وإنه لا يؤخذ منهم شئ حتى يحصد حصادهم – وعلى ما في هذا الكتاب عبد الله وذمة رسوله، وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم الجزية"[2].



(١) اللصوت، اللصوص.

(٢) شهد على ذلك: خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان. وكتب وحضر سنة خمسة عشر (تاريخ بن جرير الطبري جـ٣ صـ ١٠٥)

۞ الوصف الثامن:

"لا يُقتـــــل"

"وأي نبي تجبر، فقال باسمي قولاً، ثم آمره أن يقول، أو تنبأ باسم آلهة أخرى فليقتل ذلك الـــنبي" أي أن النبي الذي يعترف بالله ثم يكذب ويزعم أنه صاحب هذه النبوءة يكون جزاؤه من الله القتل (لا الموت) ومن المعلوم أن محمد وعيسى – عليهما السلام لم يقتلاً. وبناء عليه فهما يتساويان في هذه الصفة، ولنقرأ التاريخ:

الإنجيل يصرح بقتل عيسى عليه السلام

يقـــول "لوقا"... ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعي جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين، واحـــداً عـــن يمينه والآخر عن يساره. فقال يسوع: يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون؟... وانشق حجاب الهيكل من وسطه ونادى يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبتاه في يديك أستودع روحي. ولما قال هذا أسلم الروح" (لوقا ٢٣: ٢٦ – ٤٧).

إذا فعلي ما كتبوه في الإنجيل لا يكون ذلك النبي: **هو عيسى عليه السلام، وإنما – على ما ذكره الله في القرآن يكون ذلك النبي هو رسول الإسلام ﷺ.**

ويروى أن يهودية من أهل خيبر أرادت يوماً شراً برسول الإسلام، فسّمت شاة وقدمتها له بعد أن رددت لمن حولها: **إن كان نبياً فلن يضره ذلك، وإن لم يكن فقد استرحنا منه.**

وبينما كان الرسول يأكل منها قال لأصحابه

– ارفعوا أيديكم ثم أرسل إلى اليهودية وسألها: سممت هذه الشادة؟!! فقالت:

– من أخبرك؟! قال عليه الصلاة والسلام:

– أخبرتني هذه في يدي (وأشار للذراع التي معه)

فقـــالت:

الآن عـــرفت أنـــك نبّي وإني أشهدك ومن حضر أنّي على دينك وأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله[1].

يقول المولى عز وجل في محكم تتريله (سورة غافر) "إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ" كمـــا يقـــول العلي القدير في سورة المائدة: "وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ" صدق الله العظيم

الوصف التاسع

"يتحدث عن غيب فيكون"

"وإن قلـــت في قلبك، كيف تعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟! فما تكلم به النبي و لم يحدث و لم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه"

وإننا لنجد في سورة الروم نبوءتين غيبيتين:

الأولى: هي غلبة الروم على الفرس في الحرب التي ستقع قريباً بينهما

الثانية: استيلاء جيوش المسلمين على بلاد الفرس والروم

ولقد كان ذلك من أظهر الدلائل على صدق نبوة محمد ﷺ وفيما جاء به من الوحي

(١) جدير بالذكر أن الرسول تركها لأنه لم يكن ينتقم لنفسه قط، ثم وقع عليها القصاص بعد موت بشر بن البراء من الأكلة، وهناك روايات عديدة، ولكن الشواهد العديدة تدل على أن الرواية السابقة هي أصدقهم.

يقـــول الله عز وجل في محكم التتريل: "غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ"

كمـــا يقـــول سبحانه وتعالى في سورة النجم: "وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ" صدق الله العظيم

۞ وفي حديث لرسول الإسلام ﷺ:

"تدور رحى الإسلام بعدي ثلاثين سنة، ثم يصبح الأمر بعد ذلك ملكاً عضوضاً[(١)]

ولقـــد صح ذلك فإن مدة الخلفاء الراشدين كانت ثلاثين سنة إلا ستة أشهر، ثم تولى الحـــسين بـــن علي رضى الله عنهما الخلافة في تلك الأشهر الستة ثم ألهمه الله أن يتنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان وتتابعت الأحداث الجسام بعد ذلك...

****

۞ ويقـــول المولى في سورة الجن: "عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾".

(١) أي شاقاً عسيراً.

والمعـــنى أنه لا يطلع الله على غيبه أحداً إلا بعض الرسل، وإنه ليطلعهم على بعض الغيب كـــي يكـــون معجـــزة لهم، ذلك لأن الرسل مؤيدون بالمعجزات ومنها الإخبار عن بعض المغيبات، كما وأن الله سبحانه جل شأنه يرسل من أمام الرسول ومن خلفه ملائكة وحرساً يحفظونه من الجن ويحرسونه في ضبط ما يلقيه تعالى إليه من علم الغيب

وفي القـــرآن الكـــريم ما يدل على أن النبي ﷺ قد أُخبر عن غيب قبل حدوثه، ويحدثنا الدكتور أحمد حجازي السقا[1] عن ذلك فيقول:

ومثال ذلك قوله في أمر الله تعالى لليهود:

"قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ" (البقـــرة ٩٤ – ٩٦)، والمعـــنى قل لليهود تمنّوا الموت إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم أبناء الله وأحباؤه – لأن الجنة إذا كانت خالصة لكم وحدكم لاشتقتم إليها وتمنيتم سرعة الوصول إليها للتخلص من شوائب الدنيا":

ويستطرد الباحث قائلاً:

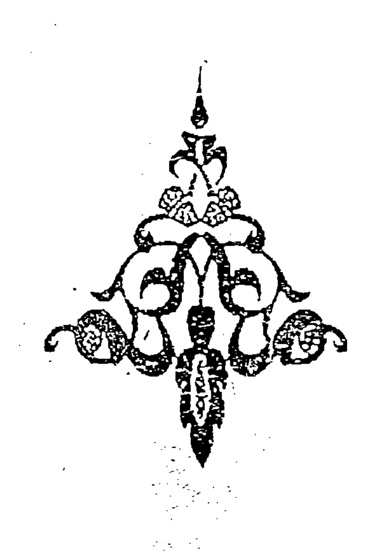
ثم أخبر الله أنهم لن يتمنوه أبداً طوال حياتهم، وذلك بسبب ما اسلفوا من موجبات النار، كالكفـــر بالـــنبي وهم يعرفونه كما يعرفون أبنائهم، كما وأن العقلاء يعلمون: أن النبي وهو يبغي انتشار دينه، وعدم مناوئة اليهود له – وهو غير واثق من جهة الله بالوحي – أن يتحدى أعـــدى الأعـــداء بأمر لا يأمن عاقبة الحال فيه، ولا يأمن خصمه أن يقهره بالدليل والحجة،

---

(١) في كتابه: البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل.

فيظهر الخصم أمام الناس أنه قد تمنى الموت فيحرجه. ولما كان معروفاً للعالم أجمع: أن اليهود لا يتمـــنون الموت "إلى يومنا هذا"، وأنهم جبناء في ساحة الحرب حتى أنهم لا يقاتلون إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر فقد ثبت صدق النبي ﷺ في خبره هذا عنهم كما وأن لرسول الهدى غيبيات لا حصر لها، سواء عن الماضي أو الحاضر أو المستقبل. منها على سبيل المثال.. أن ديـــنه سيعم الجزيرة كلها ثم ستفتح كنوز كسرى، والحيرة، وببداية الفتن منذ عهده حتى تقوم الساعة. وغيبيات أخرى بعجائب المخترعات من الحوادث والغرائب... ألخ وفي النهاية نصل إلى الحقائق المؤكدة التالية:

- أن النبي الذي نبه على مجيئه موسى عليه السلام لم يكن قد أتى قبل: يوحنا المعمدان أو عيسى بن مريم عليهما السلام.
- وأنه ليس واحداً منهما باعترافهما.
- وأن الأوصاف التسعة التي وردت في سفر التثنيه قد انطبقت على رسول الإسلام محمد ابن عبد الله ﷺ وانطباقها مؤكد عليه لأن **لإسماعيل بركة، كما لإسحق بركة.**



ثانياً: نبوءات الأناجيل عن رسول الإسلام ﷺ

يقـــول الإمـــام أبي محمد عبد الله المبقوري الترجمان المتوفي سنة ٨٣٢هـــ، والذي كان مهيئاً لأن يصبح البابا الأكـــبر، وقد أسلم عندما وقع على آية في الإنجيل تبشر بقدوم النبي ﷺ.

يقـــول: "اعلمـــوا رحمكـــم الله أن أصـــلي مديـــنة مـــيورقة[1]... ومـــنها ارتحلت إلى مدينة لاردة من أرض القـــسطلان (وهـــي مديـــنة يجتمع فيها طلبة العلم من النصارى) فقرأت فيها عن الطبيعيات والنجامة مدة ست ســـنين، ثم تـــصدرت اقرأ الإنجيل ولغته ملازماً ذلك مدة أربـــع سنين... ثم سكنت في كنيسة لقسيس كبير السن اسمه "نقلا ومرتيل" وقرأت على هذا القسيس علم أصول النـــصرانية وأحكامها... ثم أصابه مرض يوما من الدهر، فتخلف عن حضور مجلس اقرائه (وهم يتذاكرون مسائل من العلوم) إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قول الله عز وجل علـــى لسان نبيه عيسى عليه السلام في الإنجيل : "إنه يأتي مـــن بعـــدي نبّي اسمه البار قليط"[2] فبحثوا في تعيين هذا

(١) جزيرة بجنوب إسبانيا.

(٢) في إنجـــيل يوحنا (١٥ : ١٤ – ١٧) الكلمة فيه هكذا: (باركليتكس) وترجمتها في النسخة العربية (المعزي) وهو دون شدة تحريف، والصحيح أن معناها: كثير الحمد.

النبي، من هو من الأنبياء؟؟ وقال كل واحد منهم بحسب علمـــه، وعظم مقالهم وكثر جدالهم، ثم انصرفوا من غير تحصيل فائدة...

ويستطرد هذا الإمام فيقول عن هذه الحقيقة:

".... وتفـــسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون في العلم، فبادرت إلى أحدهم وقلت له:

- يـــا ســـيدي، قد علمت أني ارتحلت إليك من بلد بعيد.. فلعل من جميل إحسانكم أن تمنّوا علي بمعرفة هذا الاسم.

فبكى هذا العالم وقال لي:

- يا ولدي!! والله أنت لتعز علي كثيراً من أجل خدمتك لي وانقطاعـــك إلي في معرفة هذا الاسم الشريف... ولكن أخاف عليك أن يظهر ذلك عليك فتقتلك عامة النصارى في الحين. قلت له:

- يـــا ســـيدي! والله العظيم وحق الإنجيل ومن جاء به، لا أتكلم بشئ مما تسره إلي إلا عند أمرك قال:

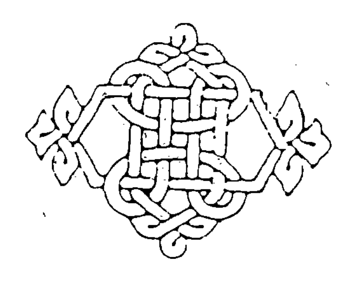
- إذن فـــاعلم يا ولدي أن البار قليط هو اسم من أسماء نبي المسلمين **محمد** ﷺ، وعليه نزل الكتاب الرابع المذكور على لـــسان دانـــيال عليه السلام، وأخبر أنه نزل هذا الكتاب

علــيه، وأن ديــنه هــو دين الحق وملته هي الملة البيضاء المذكورة في الإنجيل   قلت:

- وما تقول في دين هؤلاء النصارى؟   قال:
- يــا ولدي! لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله، لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم هو دين الله، ولكنهم بدلوا وكفروا   قلت:
- يا سيدي! وكيف الخلاص من هذا الأمر؟! قال:
- يا ولدي بالدخول في الإسلام   قال:
- وهل ينجو الداخل فيه؟!!!   قال:
- نعم ينجو في الدنيا والآخرة   ثم قال:

إن الله لم يطلعني على حقيقة ما أخبرتك به إلا بعد كــبر ســني ووهن جسمي، ولو هداني الله لذلك وأنا في سنك لتركت كل شئ ودخلت في دين الحق.   قلت:

- أفتدلني أن أمشي إلى بلاد المسلمين فأدخل دينهم ؟! قال:
- إن كــنت عاقلاً طالباً للنجاة، فبادر إلى ذلك تحصل لك الدنيا والآخرة.



" الوقائع والعلامات التى تدل علي قدوم رسول الإسلام"

كما بشّر بها عيسى عليه السلام

تقــــــديم:

في إنجيل برنابا الذي يوجد مخطوط منه باللغة الإيطالية بالمكتبة الإمبراطورية في فيينا (التي تــرجمتها Lonsdale and laura Ragg إلى الإنجليزية) نجد من يسأل عيسى عليه السلام هذا السؤال:

- **ماذا سيكون اسم المسيح الذي تبشر به؟ ومن الذي سماه؟**

وقد أجاب عيسى: اسم المسيح محمد (باللغة الإنجليزية Admirable) سماه الله عندما خلق روحه في الأمجاد السماوية.

ومن النبوءات في التوراة عن النبي الآتي إلى العالم المماثل لموسى، نبوءة في "المزمور الثاني" لداود عليه السلام وقد صاغها الكاتب على عادة اليهود مع أنبيائهم وعلمائهم وملوكهم في هذا العهد، فإننا نجدهم يطلقون على هذا النبي "ابن الله" وبلقب "مسيح".

****

❁ **يحدثنا الإمام أحمد بن إدريس المالكي وهو من كبار الفقهاء،عن تلك النبوة فيقول:**

"إن نبوءة التوراة هذه تدل على نبي الإسلام محمد ﷺ، فقول داود عليه السلام في المزامير: **أنت ابني وأنا اليوم ولدتك، سلني أعطيك الشعوب ميراثك وسلطانك إلى أقصى الأرض، تــرعاهم بقضيب من حديد، ومثل آنية الفخار تسحقهم"، ومحمد عليه السلام هو الذي ورث وبلغ سلطانه أقطار الأرض، وحاط الأمم وسامهم بسيفه.**

و لم يــتفق هذا لداود ولا لاحد من بلده، فيكون هو (**محمد عليه السلام**) هو المبشر به، وسمى ابنا على العادة القديمة في تسمية المطيع والنبي ابنا، كما قال في التوراة في إسرائيل (عليه السلام): ابني بكري

و من الوقائـــع والعلامـــات التي تدل على قدوم رسول الإسلام كما بشّر بها عيسى عليه السلام:

أنـــنا لنجد في آخر حديث لعيسىابن مريم عليه السلام مع تلاميذه قبل رحيله عن هذه الدنيا ما يعني أن مجئ "**ابن الإنسان**" صاحب ملكوت السموات والذي أشار إليه النبي دانيال، وذلك بعد حدوث وقائع وعلامات ظاهرة على الأرض هي:

١- هدم هيكل سليمان.

٢- ظهور أنبياء كذبة.

٣- قيام حروب بين الأمم.

٤- حدوث مجاعات وأوبئة وزلازل.

٥- اضطهاد الأمم لتلاميذ المسيح عيسىابن مريم أتباعه.

٦- تحريف الإنجيل.

٧- انتشار الإنجيل في العالم.

٨- حدوث رجسة الخراب، والتي تنبأ بحدوثها النبي دانيال في مدينة القدس.

ولقـــد وصف المسيح عليه السلام ابن الإنسان في هذا الحديث الأخير له وقبل رحيله بأنه:

- **سيكون ملكاً.**
- **أتباعه أطهار.**
- **محارب منتصر.**
- **صاحب شريعة من السماء.**
- **فقير.**
- **غريب.**
- **مضطهد من الناس.**

❁ **ويتضح من هذا الحديث الحقائق التالية:**

- أن مجـــيء نبي الإسلام ﷺ ودخول أتباعه أرض فلسطين إنما لكي يزيلوا آثار بني إسرائيل فيها ولكي ينشروا الإسلام (كما أخبر النبي دانيال).
- وأن تأســيس ملكـــوت السموات (بعد زوال دولة الروم) قد اقترب (كما نادى بذلك المسيح عليه السلام) كما وأن صاحبه قد لقب بــ **"ابن الإنسان"**.

ولقد انقسم النصارى إلى قسمين في فهمهم لذلك الحديث.

- **فريق يقول: إننا لا نفهم له معنى.**

ونــسألهم كــيف لا تفهمون له معنى وأصله وارد في الإصحاح الثاني والسابع من سفر دانيال؟!

- **وفريق آخر يقول:** أن "ابن الإنسان" الذي يتحدث عنه المسيح ويبين علامات مجيئه: إنه يسوع المسيح ولهؤلاء وهؤلاء نقدم:

العلامــات السبع التي وضحت في حديث عيسى ابن مريم مع تلاميذه (قبل رحيله عنهم، والتي تبشر بقدوم نبي الإسلام).

- **العـــلامة الأولى:**

هدم هيكل سليمان:

فقـــد هــــدم أدربانوس الروماني هيكل سليمان وذلك عام ١٣٢ (أو ١٣٥ ميلادية كما يعتقد البعض).

- **العـــلامة الثانية:**

ظهور الأنبياء الكذبة: وقد ظهر بالفعل:

١- ثوداس (والذي هزم أمام كوسبيوس فاروسي).

٢- دوسينيوس (والذي قال أنه المسيح الذي تنبأ عنه موسى).

٣- باركو كوباس: (أي ابن النجم).

٤- يهوذا الجليلي.

٥- "مونتانوســـي" و "ماني" الفارسي (وقد ادعى كل منهما أنه "بيرقليط" الذي وعد به عيسى عليه السلام.

- **العـــلامة الثالثة:**

حروب تقوم بين الأمم:

١- عندما أحدثت اليهود شغباً كبيراً فأدبتهم روما سنة ٧٠م بقيادة تيطس.

٢- وعندما عادوا للشغب مرة أخرى فأدبهم أدربانوس سنة ١٣٥م وحطمهم تماماً.

٣- كمـــا حدث حين غلبت دولة فارس: الدولة الرومانية الشرقية، ثم حدث أن هزمت هذه بدورها دولة فارس فيما بعد.

- **العـــلامة الرابعة:**

المجاعات والأوبئة والزلازل:

١- أول هذه المجاعات كانت في فلسطين بين سنة ٤٥ و ٤٨ ب.م.

٢- كذلك المجاعة التي حدثت بروما بين سنة ٤١ — ٤٥ ب.م. في عصر كلوديوس.

أمـــا الأوبـــئة فهي تحل عموماً عقب الحروب والمجاعات أما الزلازل فالمراد بها الأحداث الجسام الهامة وهي قد وقعت وحدثت بالفعل.

- **العـــلامة الخامسة: الاضطهادات**

ومن هذه الاضطهادات التي وقعت:

١- اضطهاد نيرون سنة ٦٤م.

٢- اضطهاد دومنيانوس سنة ٩٠م.

٣- اضطهاد تراجان سنة ١٠٦م.

٤- اضطهاد دقلديانوس سنة ٢٨٤م.

- **العـــلامة السادسة: تحريف الإنجيل**

اتفـــق المؤرخـــون علـــى أن النـــصرانية الحالية والتي اعترف بها قيصر روما قسطنطين عام ٣٢٥م، **تختلف اختلافاً جوهرياً عما نادى به المسيح عيسى بن مريم عليه السلام** وفي هذا الصدد يوضح الدكتور أحمد حجازي السقا حقيقة على جانب كبير من الأهمية إذ يقول:

"تقـــول التوراة بوحدانية الله، وأنه لا يُرى، ولا يمكن لأحد أن يراه، والمسيح الذي جاء مصدقاً للتوراة، يقول بعضهم أنه هو الله ظهر في الجسد! فعلام يدل ذلك؟!.

كمـــا تقول التوراة أن لا نبي من نبي إسرائيل كموسى، وهم يقولون أن عيسى هو النبي المماثل لموسى الذي وعد به في سفر التثنيه! فعلام يدل ذلك؟!

- **العـــلامة السابعة: انتشار الإنجيل في العالم**

ولقد تنبأ عيسى عليه السلام من التبشير بالإنجيل في كل العالم قبل مجئ **المسيا** وملكوته، ولم يحدث هذا إلا قبل مجيء نبي الإسلام ﷺ.

- **العـــلامة الثامنة: حدوث رجسة خراب دانيال**

توضـــيح: المقصود بهذه الرجسة كما جاء في كتاب تاريخ العرب للدكتور فيليب حتي، والدكتور إدوارد جرجس والدكتور جبرائيل جبور

"... ولما سلمت القدس جاءها عمر بن الخطاب زائراً وأنفذ صلح أهلها وكتب لهم به، واســـتقبله بطريـــرك أورشليم سفرونيوس (الملقب حامي الكنيسة المعسول اللسان) وطاف به أنحاء البلدة وأراه الأماكن المقدسة، وقد كان لهيئة الخليفة البسيطة، ولباسه الرث أثر عظيم في نفس سفرونيوس، فالتفت إلى أحد مرافقيه وكلمه باليونانية قائلاً:

- "حقاً هذا رجس الخراب" الذي تكلم عنه النبي دانيال ورآه قائماً في القدس

كما يقول الدكتور رياض باردي:

"وفي شـــتاء عام ٦٣٧م حاصرت جيوش الخليفة عمر بن الخطاب "القدس" وبعد حصار قـــاس دام أربعة أشهر أبدى ممثل المدينة المطران سفرونيوس رغبته بالتسليم إلى الخليفة بذاته، فحـــضر الخليفة، ولما اقترب من باب المدينة استقبله المطران والشعب بحماسة شديدة، ولقد كان لها تأثير كبير على نفسه، فمنح المسيحيين من حقوق العبادة وحرية التصرف ما لم يحلم بـــه فـــاتح في التاريخ، ومنحهم حرية الاعتقاد والقول، والتصرف ضمن الولاية، ومشى مع المطـــران لزيارة كنيسة القيامة، ولما دنا وقت الصلاة خرج إلى السلم الشرقي وصلى خارجاً حتى لا يتخذ خلفاؤه ما عمله (لو أنه بقى في الداخل وصلى) حجّة لمصادرة الكنيسة، لصالح الإسلام.

النص على اسم نبي الإسلام ﷺ في إنجيل يوحنا:

قال عيسى عليه السلام للحواريين ما نصه:

"إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً[1] آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم..

أن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً. الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي، والكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للأب الذي أرسلني. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم...

وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون" (يوحنا ١٤: ١٥ -)

"إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم. اذكروا الكلام الذي قلته لكم، ليس عبد أعظم من سيده. إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم، وإن كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم. لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل أسمى لأنهم لا يعرفون الذي أرسلني. لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية. وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم. الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً. لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية. وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي.

---

(١) المغري: تعني التأنب عن المسيح ويعزي في الأصل اليوناني، يعظ وينصح.

ومــتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء" (يوحنا ١٥ : ١٨).

قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا. سيخرجونكم من المجامع. بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله. وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الأب ولا عرفوني. لكني قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أني أنا قلته لكم. ولم أقل لكم من البداية لأني كــنت معكــم. وإما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني وليس أحد منكم يسألني أين تمضي. لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلــق، لأنه أن لم أنطلق، لا يأتيكم المعزي. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبكت العالم عن خطية وعلى بر وعلى دينونة.

أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي، وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضاً وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين.

إن لي أمــوراً كثيرة أيضاً لأقول لكم. ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" (يوحنا ١٦: ١-).

ونستخلص من النص الحقائق التالية والتي تدل على بشارات مؤكدة لمجيء نبي الإسلام محمد ﷺ.

١-سأطلب من الله – عز وجل – أن يمنحكم نبياً من بعدي، عوضاً عني ليعزي بني إسرائيل في فقــدهم الملــك "والنــبوة" **وأن هذا النبي ستظل شريعته إلى الأبد**، وأنتم وغيركم ستعرفونه إذا جاء، إذا كنتم تعرفون العلامات التي سبق أن بينتها لكم عنه.

٢-الذين لا يعتدون برسالات الله لن يستطيعوا معرفته بسهولة.

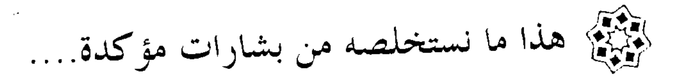
٣-إنـــي لا أتكلم عن هذا النبي من تلقاء نفسي، **بل الله الذي أرسلني هو الذي أمرني أن أخبركم بمجيئه**، وأخبرني أن أعرفكم أن **المعزي** إذا جاء فسيعلمكم كل شئ وسيذكركم بكل ما أخبرتكم به، كما لا بد وأن تؤمنوا به وتوقروه.

٤-لقد أنكر الناس نبوتي كما أنهم سيتشككون في كلامكم، **إن النبي الآتي فلسوف يشهد نبّوتي وستشهدون أنتم كذلك** بما لديكم من علم في الإنجيل.

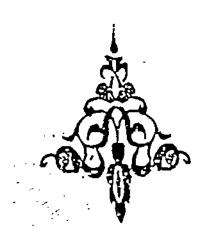
٥-لا ينبغـــي أن تشكوا في وجود الله ويقين ما أحدثكم عنه إذا ما اضطهدتم أو طردتم من مراكزكم الدينية.

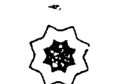
٦-حين يأتي النبي إلى العالم **فلكي يرشدكم إلى الحق** كما أنه **سيخبركم بأمور غيبية**، كما أنه سيخزي العالم وسيحاسبهم على:

- الخطايا.
- والبر.
- والدينـــونة.


هذا ما نستخلصه من بشارات مؤكدة....

وإليك المزيد:



 **تداعيات محاكمة عيسى عليه السلام وإدانته: الأسباب والنتائج:**

وفي المحاكمة "الدينية والمدنية"، سئل عيسى عليه السلام **عما إذا كان هو المسيا**[1] **المنتظر أم ليس هو؟!! كما سئل هل هو ابن اللة؟!** أي هل هو المسيح الذي تنبأ عنه داود في المزمور الثاني بلقب "**ابن الله**".

وقـــد أجاب عيسى عليه السلام بأنه ليس هو ابن الله (الذي هو **المسيا**، كما قال وكما جاء في إنجيل متى)

"**وأيـــضاً أقول لكم: من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتيا على ســـحاب السماء**"[2] وقد حدث حين نطق عيسى عليه السلام بهذه الكلمات أن مزق رئيس الكهنة ثيابه وصاح:

- لقد جدف، ما حاجتنا بعد إلى شهود، ها قد سمعتم تجديفه. ماذا ترون؟! فأجابوه:
- إنه مستوجب الموت.

ثم رفعوا به إلى بيلاطس لتنفيذ الحكم على أساس أنه هو "المسيا المنتظر"؟!!!

ذلك لأن اليهود يعلمون تمام العلم أن:

"**ابـــن الإنسان**" هذا الذي أشار إلى مجيئه عيسى عليه السلام هو **نبي الإسلام ﷺ** (وأن الإنسان هذا هو **المسيا**) كما وأن المعنى في العبارة "**جالساً يمين القوة**"[3] تعني: أنه إذا أتى ابن

---

(١) سبق أن وضحنا معاني تلك الكلمات: **المسيا، ابن الله، ابن الإنسان**، ونضيف بأن الكنسية اليهودية كانت تؤمن بأن المسيا يجب أن يكون ابن الإنسان وابن الله.

(٢) وهي نفس الكلمات في إنجيل مرقس (وسوف تبصرون أن الإنسان جالساً عن يمين القوة، وأتيا في سحاب السما).

(٣) هـــذا التعـــبير قد سبق أن استخدمه داود عليه السلام، كما وأن التعبير: أتيا على سحاب السماء قد وردت في التوراة، والعبارة كناية عن سرعة مجيئه وعلوه وارتفاعه عن أعدائه.

الإنسان ليدين العالم وينقض شعائر الهيكل، ويغير العوائد التي سلمها موسى لليهود، وأنه حين يؤسس ملكوته فإن قدرة الله تسنده

في الحقيقة أن الذي أثار حفيظة اليهود تصريح عيسى عليه السلام بأن ابن الإنسان (والذي هو المسيا) لن يأتي من نسل **داود** وإنما سيأتي من **أبناء إسماعيل** عليه السلام، إذ قال يسوع:

– الحق أقول: أن ابن إبراهيم هو إسماعيل الذي يجب أن يأتي من سلالته **مسيا**، الموعود به إبراهيم، أن به تتبارك كل قبائل الأرض.

والدليل على ذلك أن رئيس الكهنة حين سمع ذلك صرخ قائلاً:

– لنرجم هذا الفاجر، لأنه إسماعيلي وقد جدف على موسى وعلى شريعة الله (إنجيل برنابا ٢٠٦ – ٢٠٨)

كما يذكر برنابا أنهم – أي اليهود – لما هموا بقتله وصلبه، ألقى الله شبه عيسى على التلميذ الخائن: يهوذا الأسخربوطي فحوكم مكانه وقتل بدله وصلب"[1].

---

(١) من المعلوم أن كثيرين من النصارى يوافقون على رواية برنابا، ويؤكد ذلك الفيلسوف الإيطالي جيوفاني بابيني إذ يقول: وأما عن موت يسوع فيقولون أنه لم يصلب على الصليب، كما توهم أتباعه، وإنما خيل إليهم أن اليهود صلبوه وقبروه ولكنه لم يمت ولم يقبر، بل توارى عن الأبصار حتى ظن الجميع أنه قد مات (حياة المسيح جيوفاني ص ٤٧) وفي محكم التتريل يقول سبحانه جل جلاله في سورة النساء: "....وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ ...".

ومن أصدق من الله قيلا ؟

كما يقول برنابا:

"ولما جاء النهار صعد يسوع إلى الهيكل مع جم غفير من الشعب، فاقترب منه رئيس الكهنة قائلاً:-

- قل لي يا يسوع، أنسيت كل ما كنت قد أعترفت به من أنك لست الله، ولا أبن الله ولا مسيا؟!!!

❁ **أجاب يسوع:**

- لا ألبتّه لم أنس، لأن هذا هو الاعتراف الذي أشهد به أمام كرسي دينونة الله في يوم الدينونة، لأن كل ما كتب في كتاب موسى صحيح كل الصحة، فإن الله خالقنا أحد، وأنا عبد الله وأرغب في خدمة رسول الله الذي تسمونه مسيا.

قال رئيس الكهنة:

- فما المراد إذن من المجيء إلى الهيكل بهذا الحجم الغفير؟! لعلك تريد أن تجعل نفسك ملكاً على إسرائيل؟! احذر من أن يحل بك خطر.

❁ **أجاب يسوع:**

- لو طلبت مجدي ورغبت في نصيبي في هذا العالم، لما هربت لما أراد أهل نايين أن يجعلوني ملكاً، حقاً صدقني إني لست أطلب شيئاً في هذا العالم.

حينئذ قال رئيس الكهنة:

- نحب أن نعرف شيئاً عن مسيا •

ويستمر الحوار إلى أن يصرّح عيسى عليه السلام قائلاً:

- ... **إنكـــم لستم أبناء إبراهيم كما تدعون أنفسكم، ولا أنتم منحدرون بذلك الرأس الـــذي كـــان إبـــراهيم متحداً به، لعمر الله أن إبراهيم أحب الله، بحيث أنه لم يكتف بتحطـــيم الأصنام الباطلة تحطيماً، ولا يهجر أباه وأمه، ولكنه كان يريد أن يذبح ابنه طاعة لله.**

أجاب رئيس الكهنة:

- إنما أسألك هذا، ولا أطلب قتلك، فقل لنا:

من كان ابن إبراهيم هذا؟ ۞ أجاب يسوع:

- إنه غيرة شرفك يا الله تؤججني، ولا أقدر أن أسكت.

الحق أقول: أن ابن إبراهيم هو إسماعيل الذي يجب أن يأتي من سلالته مسيا، الموعود به إبراهيم، أن به تتبارك كل قبائل الأرض.

فلما سمع هذا رئيس الكهنة حنق وصرخ:

- **لنـــرجم هـــذا الفاجـــر، لأنـــه إسماعيلي، وقد جدف على موسى وعلى شريعة الله** (برنابا ٢٠٦ – ٢٠٨).

۞ وهكذا يتضح جلياً أن السبب في إرادة اليهود قتل عيسى عليه السلام **أنه كان يبشر بنبي الإســـلام محمد ﷺ**، وأن محاكمته لا تدل بحال من الأحوال على أنه هو **المسيا**، ويبرأ عيسى نفـــسه في نهايـــة الأمـــر حيث يقول:- **إن الذي سيزيل الدولة الرومانية هو ابن الإنسان صاحب ملكوت السموات ولست أنا الذي سيزيلها.**





الأوصاف التي ذكرها عيسى عليه السلام عن نبي الإسلام ﷺ كما وردت في القرآن الكريم:

وإننا لنجد في الآيات القرآنية المجيدة ما يشير إلى انطباق الأوصاف التي ذكرها عيسى عليه السلام على نبي الإسلام محمد ﷺ... وعلى سبيل المثال لا الحصر:

١-أشار القرآن الكريم إشارات عديدة إلى أن رسالة الإسلام **لجميع أمم الأرض** (بما فيهم من يهود ونصارى) **كما وأنها باقية إلى يوم قيام الساعة.** يقول المولى العزيز القدير.

"وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ" (الأنبياء ١٠٧)

وهذا يتفق مع عبارة الإنجيل:

"ليمكث معكم إلى الأبد"

٢-وفي محكم التتريل نقرأ:

"ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ"

(الأعراف ١٥٧).

وهذا يتفق مع العبارة:

"يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم – وقلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون".

٣- كما أشارت آيات الذكر الحكيم إلى أن أهل الكتاب يعرفون رسول الإسلام كما يعرفون أبناءهم، وكما ورد في سورة البقرة:

"ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ" (البقرة ١٤٦).

❁ وهذا يتفق مع قول الإنجيل: "**وأما أنتم فتعرفونه**".

٤- كما نجد في محكم التنزيل النص القرآني المجيد: "الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾" (الروم ١-٦).

❁ وهذا يتفق مع وصف عيسى عليه السلام لنبي الإسلام بقوله: "**سيخبركم بأمور آتية**"[١]

---

(١) لقد كان للرسول نبوءات تحققت في زمنه ونبوءات أخرى تحققت في هذا العصر ونبوءات لم تتحق بعد، ومن الأمثلة للأولى:

- التنبؤ بالخوارج والإنذار بخطرهم.
- أن دينهم سيعم الجزيرة كله.
- فتح جزيرة العرب ثم فارس ثم الروم.
- أن أمته ستفتح كنوز كسرى وكذلك الحيرة.
- بخراب خيبر... ألخ ومن أمثله الثانية:
- التنبؤ بمخترعات العصر إجمالاً.
- التنبؤ بكثرة الأمراض الغريبة التي ظهرت في هذا العصر.

٥- كذلك نجد في قوله تعالى:

" شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ" (الشورى: ١٣)

❁ وهذا يتفق مع قول عيسى عليه السلام:

"يأخذ مما لي ويخبركم"

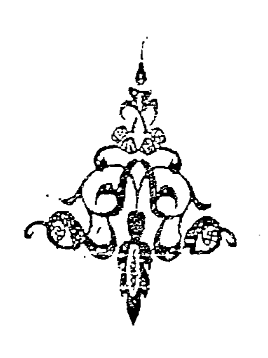
٦- وعن الاسم المبارك يقول المولى عز وجل: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ " (الصف: ٦) وهذا يتفق مع قول عيسى عليه السلام: "وأنا أطلب من الأب، فيعطيكم معزياً" والمعزي (كما سبق أن أوضحنا) ترجمة باراكليت، وبيركليت هم اسم أحمد ﷺ.

- بخروج النساء عاريات متبرجات.
- بزعماء الوقت ورؤساء الأحزاب فاسدي الأخلاق.
- بأن أمته ستقلد الغرب في كل شئ. بالعصريين (العلمانيين).
- بالتنافر والتناكر بين الناس.
- بالاحتلال الغربي للدول العربية.
- ببعد اهتمام الناس بالدين.
- بتشبيه الرجال بالنساء والعكس.
- بكثرة الموت وكثرة الحروب.

(راجع موسوعة نبوءات آخر الزمان ما تحقق منها وما يتحقق. تأليف: الحافظ أبي الغيص الغماري – مكتبة الصفوة).

وفي سفر التثنيه الإصحاح (١٨) (فقرة ١٥ — ٣٠) يقول الرب تعالى لموسى: "سأقيم لنبي إسرائيل نبيا من إخوتهم[1] مثلك أجعل كلامي في فيه (أي يحفظ كلام الله) ويقول لهم ما أمره به، والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي أنا أنتقم منه ومن سبطه"

۞ وهذا — كما هو واضح... قريب من معنى الآية في آل عمران، حيث يقول جل جلاله: "وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾" (آل عمران ٨١ — ٨٢).



(١) أخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل والنبي ﷺ من بني إسماعيل.

تلخيــص

أوضحنا في هذا الفصل علاقة نبي الأمة بالرسالات السابقة عليه، وما أنبأت وما بشرت به هذه الرسالات من إثبات نبوة نبي الإسلام ومن صدق القرآن الكريم والذي جاء وحياً من الله ورســوله وأن الدعوة العالمية هي لمحمد عليه الصلاة والسلام وليست لغيره، كما بينا كيف كان وعد الله عز وجل لإبراهيم النبي بأن تتبارك الأمم من نسله نسل إسماعيل ونسل إسحاق عليهما السلام كما جاء في النص التوراتي.

كما أوضحنا الأوصاف للنبي القادم من بني إسماعيل وهي وكما جاءت في التوراة:

- من بني أخوة بني إسرائيل.
- أمي.
- أمين على الوحي – لن يُقتل.
- سوف يقضي على إسرائيل.
- يتحدث عن غيبيات.

وأقمــنا الدليل والبرهان على أن هذه الأوصاف تنطبق على "المسيا"، وهو اللقب الذي يطلقه اليهود على ملوكهم وعلمائهم أو أنبيائهم.

كذلك رأي علماء بني إسرائيل في اسم **محمد** ﷺ بحساب الجمل، المتعارف عليه في الأمم القديمة قبل ظهور الإسلام.

كمــا دللنا على هذه الحقيقة بما جاء في سفر التثنيه بما بشر به موسى عليه السلام إلى أن الــنبي المنتظر والمرتقب لهداية العالمين لا بد وأن تتحقق فيه الأوصاف السابقة. (من نبي إخوة بني إسرائيل مثل موسى وينسخ طريقة... الخ).

وأوضحنا بعد ذلك كيف تطابقت هذه الأوصاف على رسول الإسلام محمد ﷺ بنصوص التوراة والبراهين التاريخية (وبالنص القرآني أيضاً)

انتقلنا بعد ذلك إلى نبوءات الأناجيل عن رسول الإسلام، وبينا ما أوضحته الأناجيل (لا سـيما إنجـيل برنابا ويوحنا) من أن المسيح عليه السلام قد بشر بالنبي حين سئل عن اسم المسيح الذي يبشّر به. إذ قـال:

- اسم المسيح محمد، سماء الله عندنا خلق روحه في الأمجاد السماوية.

بعـد ذلك انتقلنا إلى الوقائع والعلامات التي تدل على قدوم رسول الإسلام كما بشر بها عيسى عليه السلام وهي: (هدم هيكل سليمان، وظهور أنبياء كذبة، وقيام حروب بين الأمم، وحـدوث مجاعـات وأوبئة وزلازل، واضطهاد تلاميذ المسيح، وتحريف الإنجيل وانتشاره في العالم، وحدوث رجسة الخراب).

وبيّنا كيف تحققت كل هذه الوقائع التي تنبئ بقدوم رسول الإسلام محمد ﷺ كما أثبتنا أن أوصاف ابن الإنسان في الحديث الأخير لعيسى عليه السلام تنطبق على نبي الأمة محمد ﷺ مـن حيث: (سيكون ملكاً – أتباعه أطهار – محارب منتصر، صاحب شريعة من السماء، فقير، غريب، مضطهد).

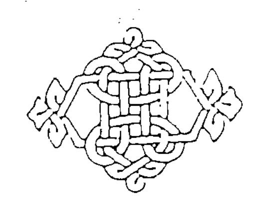
كما ألقينا الضوء على موقف اليهود، وفرق النصارى من هذه البشارات وهذه النبوءات بقدوم رسول الإسلام وكما جاءت بها النصوص التورانية أو الإنجيلية.

بعد ذلك انتقلنا إلى التنظير بين:

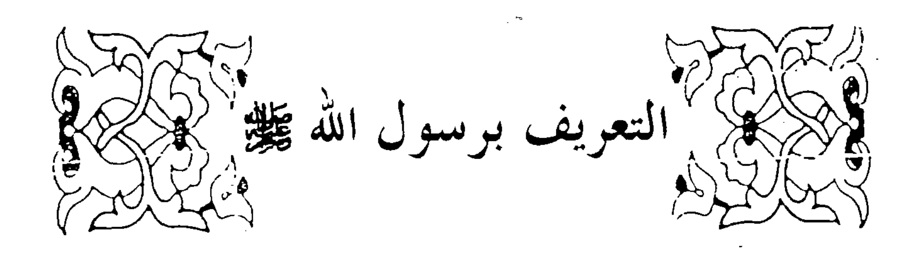
- ما ورد عن أوصاف رسول الإسلام كما ذكرها عيسى.
- وما ورد في القرآن الكريم عنه.

وشرحنا كيف تطابقت هذه الأوصاف واتفقت بالبراهين المؤكدة جملة وتفصيلاً مثل قول عيسى عليه السلام: "وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً".

وقـول المولى الخبير الحكيم: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ"



التعريف بالنبي ﷺ ورسالته، والحكمة في دعوته



التعريف برسول الله ﷺ

سئل النبي ﷺ:

- متى كنت نبياً؟! قال:

- كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد.

من هو محمد ﷺ؟

هو محمد[1] بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلــياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وينتهي نسب عدنان إلى حيث يمته النسب إلى سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

---

(١) في صحيح مسلم كتاب الفضائل – باب في أسمائه ﷺ ج٤/ ١٨٢٨ صحيح البخاري – كتاب التفسير سورة الصف، ج ١٨٥٨/٤، قول الرسول ﷺ: "إن لي أسماء: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد.

(ويمتد النسب إلى سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام)

↑

قصي

ولد سنة ٤٠٠م

عبد الـدار — عبد منـاف (ولد سنة ٤٣٠م) — عبد العـزى

عبد مناف ←
عبد شمس — نوفل — هاشم (ولد سنة ٤٦٤م) — المطلب

عبد شمس ← أمية ← حرب ← أبو سفيان ← معاوية

هاشم ← عبد المطلب (ولد سنة ٤٩٧م)

عبد المطلب ←
الحارث — أبو طالب — أبو لهب — **عبد الله** (ولد سنة ٥٤٥م) — العباس — حمزة

عبد الله ← **محمد** ﷺ (ولد سنة ٥٧٠م)

أبو طالب ←
جعفر — علي — عقيل

علي ← الحسن — الحسين

عقيل ← مسلم

عبد العـزى ← أسـد ← خويلد

خويلد ←
خديجة — العوام

العوام ← الزبيـر

 **ولنلقي نظرة على شرف هذا النسب العظيم :**



شـــرف النسب

وهـــي الـــسيرة التي تليق بأجداد الرسول الكريم ﷺ وتتفق على ما كان يدعو إليه: من عقيدة صافية نقية سهلة سائغة حافزة لله، باعثة للحياة لا يخاف الإنسان فيها إلا الله عز وجل فهـــو وحـــده المعطي والمانع والمحيي والمميت، وأن هذا الإنسان أشرف خلق الله وسيد هذه الأرض وخلـــيفة الله فيها **يطيع ربه وخالقه ينفذ أوامره** ويحقق بذلك هذا الشرف الإنساني العظيم والمجد الإنساني الخالد الذي حرمته الدنيا منه منذ الزمن البعيد.

يقـــول المـــولى في محكم التتريل: "إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ" [آل عمران: ٣٣] فالله سبحانه وتعالى اصطفى هؤلاء بأن جعل فيهم النبوة والهداية للمتقدمين، كما اصطفى **قريشاً** من **كنانة**، واصطفى من **بني هاشم سيد ولد آدم** "**محمد**" ﷺ، فكان آل **إسماعيل** أفضل الأولين والآخرين... (كما كان بنوا إسحق أفضل المتوسطين).

ولقد كان أصطفاه سبحانه وتعالى **لقبيلة قريش** فيما أتاهم من المناقب والأفعال الكريمة خاصة بعد سُكنى مكة، وخدمة المسجد الحرام، إذا كانوا أصرح ولد **إسماعيل** أنساباً وأحساباً كما أنهم المهدون لجمع الكلمة.

أما أسباب اصطفاء الله **لنبي هاشم**، فذلك لما تميزوا به رجاحة العقل ومكابرة الحق وعلو الهمة والسخاء والشجاعة وما تشتمل عليه **كلمة الفروسية من معان كريمة وخصال حميدة، وكذا الاعتدال في كل شئ.**

ومـــن المعلوم أن لقب هاشم قد أطلق على "**عمرو بن مناف**" ذلك لأنه أول من هشم الثريد لمن أصابتهم المجاعة والقحط.

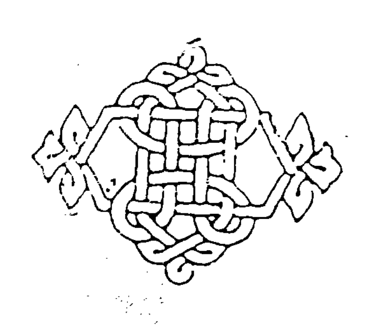
كمـــا كانت مائدته عامرة بالطعام على مدار العام... ولقد زاد على هاشم ولده "**عبد المطلب**" الذي كان يطعم الوحش والطير ويحرم الخمر على نفسه.

كما كان أول من تعّبد بغار حراء.

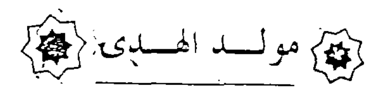
ثم اصطفى الله **محمداً** ﷺ من مبني هاشم فكان خير ولد آدم وسيدهم[1]، لم يتول شيئاً من أعمال قريش سواء في دينها أو دنياها، لا يعبد عبادتهم ولا يحضر سامرهم ولا مجالسهم، وبلغ به المقام الأرفع الأكمل قبل النبوة حتى لقب **بالأمين**... حتى أتاه الوحي والرسالة، وحق عليه قول الله تعالى:

"وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ"

ومن أصدق من الله قيلاً...!



(١) عن أبي هريرة: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع في مـــشيته من رسول الله ﷺ كأن الأرض تطوى له، وإنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث" كما وُصف بأنه: أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأحلاهم عن قريب، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر.



ولد رسول الله ﷺ بمكة عام الفيل الذي تعتبر واقعته تقدمة قدمها الله عز وجل لنبيه المجتبى[1] وما أن وضعت آمنة وليدها[2] — وكما تضع كل أنثى — حتى أرسلت إلى عبد المطلب تخبره بالنبأ العظيم... فأتاه وحمله ودخل به الكعبة، ثم قام يدعو الله ويحمده... وسماه "محمداً"[3]، وكم تعجب العرب من هذا الاسم الذي لم يعرف بمن تسمى به إلا ثلاثة

---

(١) وأية ذلك أن أبرهة بن الصباح (عامل النجاشي ملك الحبشة على اليمن، قد هاله أن الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة، فما كان منه إلا أن سعى لبناء كنيسة في مدينة صنعاء وجلب إليها الرخام المجزّع والحجارة المنقوشة بالذهب من بقايا قصر بلقيس كما نصب لها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنس، ثم كتب إلى مولاه النجاشي يسترضيه ويقول: إني بنيت لك كنيسة لم ين مثلها ولست منتهياً حتى أصرف إليها حج العرب وخرج أبرهة قاصداً مكة، وبينما هو في طريقه إليها أصاب لعبد المطلب مائتي بعير. وبعث برجل إلى مكة كي يقول لشريفها: إنني لم آت لقتال، بلت جئت لأهدم البيت!! ولقد كان رد عبد المطلب حين سمع هذا الهراء:

- إن هذا بيت الله وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يخلي بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به من قوة.... ثم طلب إن ترد إليه بعيره التي أصابها أبرهة من ماله. وتعجب أبرهة وردد:
- لقد جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وشرفكم وعصمتكم لأهدمه، فلم تكلمني فيه، وتكلمني في مائتي بعير..؟!!! وكان رد عبد المطلب سهلاً ميسوراً إذ قال:
- أنا رب الأبل... والبيت له رب يمنعه منك... ثم مضى ومعه نفر من قريش وأخذوا بحلقة باب الكعبة يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده.... وكم كانت هي أية من آيات الله فقد أرسل الله جلت قدرته طيراً من قبل البحر ومع كل طائر ثلاثة أحجار، لم تصب أحداً إلا أهلكته، أما أبرهة فقد ابتلاه رب العزّة بداء في جسمه، كما انصدع صدره عن قلبه ولقى حتفه جزاء على ما قدمت يداه.

وحمى الله بيته الحرام الذي كان يقوم بخدمة حجيجه: المحب للمساكين المتخلق بمكارم الأخلاق، المحافظ على العهود، سيد من أسياد قريش دون منازع، عقد الحلف من قريش ومن النجاشي، ولقب بالنياص لعظيم سخائه وكرمه. إنه: **عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف** ولقد استعظم العرب هذا الحدث وأرخوا به إذ قالوا: وقع هذا في عام الفيل، وولد فلان في عام الفيل، ووقع هذا بعد عام الفيل (والذي يصادف ٥٧٠م).

(٢) اختلف المؤرخون في الشهر الذي ولد فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فمنهم القائل: ولد في المحرم، ومنهم القائل: ولد في صفر، والبعض الآخر يرجح "رجباً" وآخرون يرجحون شهر رمضان، وإن كانت الأكثرية ترجح أنه قد ولد في شهر ربيع الأول.

(٣) فقد أراد على حد قوله: أردت أن يكون محموداً في السماء لله وفي الأرض لخلقه.

وقد طمع آباؤهم حين سمعوا من أهل الكتاب عن نبي سوف يبعث في جزيرة العرب يسمى بمحمد، وكانت أزواجهم حاملات، فنذر كل واحد منهم لمن ولد له ذكر أن يسميه "محمداً".

وكان لهم ذلك

ولما كانت آمنة متعبة، فقد أرضعته أسبوعاً، ثم تولته جارية عمه "أبي لهب" (والتي تدعى ثويبة) بالرضاعة لبضعة أيام، ثم التمس له عبد المطلب مرضعاً من البادية وذلك على عادة العرب الذين كانوا يؤثرونها لرضاعة أطفالهم في نشأتهم الأولى، لما في أجواء البادية من الصفاء، وفي طبيعتها من السلامة والاعتدال والبعد عن مفاسد المدينة كما وأن لغتها سليمة أصيلة نقية أكثر من سواها.

ليت شعري: إنها البادية التي اختارها الله ليخرج بها الكون من ظلمات الجهالة إلى النور الذي سيسعى في أيد المؤمنين الموحدين في الحياة الأولى، والذي هو سبيل سعادتهم في الحياة الأبدية الأخرى.

لقد كانت البادية ظلمة التخيلات الزرية وممقوت الأوهام، والاعتقاد الراسخ في الجن وخزانات العادات فإذا ما أجدبت الأرض وانقطع المطر أو كاد، عمدوا إلى شجر يقال له: العشر والسلع، فيحزمونها ويعقدونها في أذناب البقر وقد أضرموا فيها النيران، ثم يصعدون الجبل هكذا يستشفعون بها!!! [١]

إنها:
- بادية زواج الاستبضاع!!
- بادية زواج الشغار ونكاح المقت!!
- بادية وأد البنات

(١) ولقد أبطل المصطفى عليه صلوات الله وسلامه هذه العادة ووضع مكانها صلاة الاستسقاء التي هي عبادة خالصة لوجه الله تعالى من أجل سقوط المطر.

- بادية قوم إما قاتلون أو مقتولون، شريعتهم "الأخذ بالثأر" لأتفه الأسباب وأهونها.
- باديـــة "الكهـــان الـــتي تـــزعم معرفة الغيبيات بما سخر لها من الجن الذين يكشفون لها الغيب..!!
- بادية معاملة النساء كالعبيد لا حقوق لهن... [1].

عقائد وملل الجزيرة العربية:

ولقـــد عُرفت الجزيرة العربية كل الملل والعقائد التي كانت البشرية تعتنقها وتمارسها قبل ظهور الإسلام.

- فلقد عُرفت المسيحية في تخوم الحبشة وكذلك في نجران وغسان والحيرة.
- كما عُرفت اليهودية في يثرب وشماليّ الحجاز.
- كما عُرفت الصابئة[2] في سبأ.
- كما سُمعت عن المجوسية في بلاد فارس (بحكم اتصال إمارة المناذرة بالفرس).

ولهذا فقد تلاقت هذه العقائد كلها مع بقية باقية[3] من دين إبراهيم عليه السلام.

تحدثـــنا الدكـــتورة عائـــشة عبد الرحمن عن النتيجة الحتمية لذلك فتقول (في كتابها عن المصطفى ﷺ):

"..... فـــأدى أثر ذلك أن يجعل المنطقة في حيرة وتردد لا تدري أي تلك الطوائف على حق وأيها على باطل... ولم تكن الفطرة العربية قد أفسدها، ما تسلط على الفرس والروم من ترف باذخ وانحلال منهك، ولا قهرها، تسلط على شعوب المناطق حولها – في الشام ومصر

---

(١) ورغـــم ذلـــك فقـــد كانوا ذوي مناقب حميدة وخصال رشيدة كحماية الجار وإغاثة الملهوف وإكرام الضيف والشجاعة في الحروب والفروسية وغير ذلك ولكن كانت تنقصهم الوحدة بكل ما في الكلمة من معنى.

(٢) يعبد الصابئة النجوم والكواكب (وكما هو الحال عند الوثنيين يوم عام، فالمعروف أنهم يقدسون كل ما هو **مفيد أو مخيف** تارة للشكر وتارة لتجنب شره وأذاه).

(٣) شاءت أن تقاوم على مدى الدهور والأزمان هذا الضياع، ورفضهم القاطع عبادة الأوثان في أخريات الجاهلية.

ومـــا وراءها من أقطار الشمال الأفريقي... وإنما ألقت الوثنية غشاوة على بصيرة العربي....
وتستطرد الكاتبة قولها:

"وتراث الشعر الجاهلي – لقرنين قبل الإسلام – يؤكد ما كان – يجتاح الوجدان العربي مـــن قلـــق وحيرة وتطلع إلى نور جديد يخرق الغشاوة ويسقط أقنعة الزيف عن عقم الوثنية ومهانة الشرك وخلل الأوضاع به.

وكمـــا تطلع الشمس بأنوارها فتفجر ينبوع الضوء المسمى النهار يولد الإنسان الذي أبدعـــته الحكمـــة الإلهـــية، يولد رسول الإسلام فيوجد في الإنسانية ينبوع النور المسمى بالدين.

❁ ونحن لو أنصفنا التسمية لقلنا:

إن المولد المحمدي لم يكن مولد إنسان، إنما كان مولد إنسانية قامت لها في الأرض قاطبة **دولة:**

- دولة تعد الرحمة من أسلحة نضالها.
- دولة تعد الحياء من أهم شعب إيمانها.
- دولة تعد الإنصاف بين الناس في المعاملات من أسمى شرائعها.
- دولة الهدى.

ولله در الشاعر أحمد شوقي إذ يقول:

ولد الهدى فالكائنات ضياء ... وفم الزمـــان تبسم وثنـــاء

❁ **ونتابع حياة الرسولﷺ:**

أقـــام محمد ﷺ في بني سعد إلى الخامسة من عمره حيث تركت هذه السنوات الخمس في نفسه أجمل الأثر، إذ كان ينهل من فسحة الصحراء الطلقة رَوْح الحرية السمحاء والاستقلال بالنفس والحلم والصبر والإيثار والتواضع والإخلاص والثبات على الرأي.

۞ كفالة أبي طالب:

آلت كفالة محمد إلى أبي طالب الذي أحبه كحب عبد المطلب له، ولقد كان يجد فيه من النجابة والذكاء وطيب النفس ما يزيده به حباً وتعلقاً. وتروي كتب السيرة أن أبو طالب أراد أن يخرج يوماً في تجارة له إلى الشام... وأبدى **محمد** صادق رغبته في مصاحبة عمه... وصحب الغلام القافلة حتى بلغ بُصرى (جنوب الشام) وهناك التقى بالراهب "**بَحيرَي**"، الذي رأى فيه إمارات النبوّة، على ما تدلّه أنباء النصرانية، ونصح إلى أهله ألا يوغلوا به في بلاد الشام خوفاً عليه من اليهود أن يعرفوا منه هذه الإمارات فينالونه بالأذى ويحدثنا الشيخ محمد رشيد رضا **فيقول**:

"... لقد ظل طول عمره يكره سفك الدماء ولو بالحق، فكان على شجاعته الكاملة يقود أصحابه لقتال أعداء الله وأعدائه المعتدين عليه وعليهم، لأجل صدهم عن دينه، ولكنه لم يقتل بيده إلا رجلاً واحداً منهم هو أبي بن خلف، كان موطّنا نفسه على قتلهﷺ، فهجم عليه وهو مدجّج بالحديد من مِغفر ودرع، فلم يجدﷺ بُداً من قتله، فطعنه في ترقوته من خلل الدرع والمغفر فقتله"

- **كما يحدثنا عبد الحليم الجندي فيقول[١]:**

"والأسواق محلية أو عالمية مدرسة لا كالمدارس، والرابح فيها من يستبقى النزاهة في نفسه مع قوت يومه، فيجتمع له من عمله اليومي فائض قد يسد الرمق، ولكنه يتسامى بحسن الأحدوثة ويرفع صاحبه إلى مرتبة تذيع مناقبه... بهذا أطلقت مكة عليه وصفاً صار علماً عليه: "الأمين".

---

(١) في كتابه: في السيرة النبوية.

كمـــا وأن الله قد ألهم رسوله في بواكير شبابه خلال ضلال قومه من الشرك فمضى هو يـــبحث عن الحقيقة والتأمل في حياة الناس والكون، وصلة هذه الحياة بخالقها ومُوجدها وفي هذا الصدد أيضاً يحدثنا الدكتور شوقي ضيف[1] فيقول:

"وكـــان محمـــد يجد متاعاً في خلوته بهذا الغار[2]، إذ كان يتيح له التأمل الطويل... وتـــشرق الشمس وترسل بأشعتها الذهبية في الكون نهاراً، ويظلم الليل ويشرق فيه القمر بأشعته الفضية، ولكن ما الشمس؟! وما القمر؟! وما السماء؟!! وما هذه القبة الزرقاء التي تسبح فيها الكواكب والنجوم؟! وما هذا النظام الذي يعم الكون وجميع كائناته؟!... وما الإنسان في دنياه، وما يترل به من خير أو شر؟!

إنه في خلوته يريد أن يخترق الحجب ليعرف أسرار الكون... إنه ليتمنى أن تُكشف له الحجب ليعرف خالق هذا الكون وصانعه ومدبره... وفي السابع عشر من رمضان، ومحمد في ســـن الأربعين من عمره، أيقظه من نومه صوت واضح، وهب من نومه مذعوراً فرأى ملكاً في صورة رجل واقفاً أمامه، ثم مرت لحظة صمت وقال له الملك: "أقـــرأ..." وبعد الحوار الذي جرى بينهما نزلت أول آيات القرآن الكريم "ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥".

وبهـــذه الآيات الكريمة الحكيمة بدأ نزول الوحي على النبيﷺ، وقد تكاملت له أربعون سنة...

---

(١) في كتابه: محمد خاتم المرسلين.

(٢) غار حراء وهو كهف موحش منعزل عن الناس والعمران. يعمّه ظلام شديد.

مراتب الوحي:

وللوحي مراتب ومنازل[1]:

إحداها: الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحيهﷺ.

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه.

الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة إيماناً.

الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس.

الخامسة: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحيه (وقد وقع له ذلك مرتين كما جاء في سورة النجم).

السادسة: ما أوحاه الله إليه، وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا وساطة ملك كما كلّم الله موسى بن عمران (وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى بنص القرآن الكريم) وثبوتها لنبينا ﷺ هو في حديث الإسراء.

ثم كان الأمر الإلهي لرسوله: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ".

الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى:

وهكذا ظل رسول السماء قائماً بعد نزول الوحي أكثر من عشرين عاماً قائماً على دعوة الله، وقد حمل على عاتقه العبء الباهظ، عبء الأمانة الكبرى في هذه الأرض، بل قل عبء البشرية عامة، ليحررها ويسمو بها إلى آفاق المثل العليا: للحق والخير والجمال والرحمة.

---

(١) وكما أوردها ابن القيم (وأننا لنهدي هذه السطور لمفكري وفلاسفة الغرب ليتيقنوا وليعلموا أي مترلة رفيعة سامية كان عليها رسول الإسلام من رب العزة سبحانه وتعالى).

ولكن لم يسلم هذا العبء من طوائف كانت و لم تزل ترمى أمام أو من خلفه **قوس إلحاد وقح، أو جهل مطبق بذئ**، فيتطاولون بمراء لا ساحل له.

والسبب – كما نراه – لا يعدو أن يكون رد فعل... ذلك لأن حياة المصطفى بكل إشراقاتها تمثل ذلك الضمير الذي كان (ولا يزال) يوخز هذه الطوائف في جنباتها[1].

كيف ترقى رقيك الأنبياء ... يا سماء ما طاولتها سماء

رغم أن الرسالة المحمدية قد حضت على الإيمان بكافة الرسل والأنبياء المبعوثين من قِبَل الله جل شأنه، كما وأنها نبهت إلى وحدة هذه الرسالات جميعاً وإلى اكتمالها بالدعوة الإسلامية الخاتمة.

يقول المولى في محكم آياته في سورة الشورى: "شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾".

كما وأن الرسالة المحمدية هي رسالة خاتمية في تاريخ الإنسانية، لم ولن تتلوها رسالة أخرى، وقد اقتضت هذه الخاتمية كمال وتمام منهجها في الحياة الدنيا وفي الآخرة، بقرآن حكيم، قرآن عقل: لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد، قرآن تكفل ديمومة المدد مواكبة وملاحقة كل ما تلقى به الأزمان السابقة واللاحقة من مستجدات اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية.

ديمومة تدفع تيار الحياة والأحياء إلى غاية مثلى من الحق والنور والكمال والخير...

ديمومة قوامها الحكمة والموعظة الحسنة والمحاورة القائمة على العقل والفكر لاستشفاف الصواب وتجنب الفواحش[1] والمعاصي ما ظهر منها وما بطن...

---

(١) وستناول هذا الموضوع في الفصل القادم بالتفصيل.

ديمومة قوامها الهداية والتبصير والتحذير من الضلال أو اتباع الباطل ولأنها ديمومة هداية، فقد كان لا بد لها من "نبوة هداية وتبصير" وكما يقول المولى جلّ ثناؤه وتعالت أسماؤه:

- "هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ" (التوبة)
- "وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾" (الأنبياء).
- "هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾" (الجمعة).
- "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾" (الأحــزاب)

رسول أميّ مطهر يحمل وحي السماءأولى بالمؤمنين من أنفسهم...

رسول إلى الناس كافة...

- "وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا" (سبأ)
- "قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّى هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا" (الإسراء)

---

(١) حسبنا أن نشير إلى تحذير القرآن من فاحشة الزنى: "وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾" (الإسـراء) ولنتأمل كيف أصبحت البشرية – التي لم تع هذا التحذير الإلهي – تواجه أعتى الفيروسات التي استعصت على القهر ألا وهو فيروس الإيدز الذي بلغ ضحاياه حتى عام ٢٠٠٧ نحو ٧٠ مليوناً من البشر (توفى منهم نحو ٤٠ مليوناً) (الأهرام ٢٠ مايو سنة ٢٠٠٨).

۞ **رسول ما هو بكاهن[1] ولا هو بشاعر...**

• "وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾" (الحاقة).

۞ **رسول قد شهدت الكتب السابقة بحسن خلقه قبل ولادته كما جاء فى الإنجيل والتوراة وغيرهما.**

۞ **رسول يحفظه الله من قبائح الجاهلية ورزاياها ومن نسائها لا يقترف ما يخدش الحياء فى مجتمع لا يقيم وزنا له.**

وكما يقول الإمام القرطبى رحمه الله :

"حفظــه الله من صغره وتولى تأديبه بنفسه و لم يكله فى شىء من ذلك لغيره، و لم يزل الله يفعل به حتى كرّه إليه أحوال الجاهلية، وحماه منها، فلم يجر عليه شىء منها، كل ذلك لطف به وعطف عليه وجمع للمحاسن لديه[2]".

۞ **رسول** يشتهر بالصدق والأمانة ويتمم مكارم الأخلاق للعالمين وللناس كافة، لا يختص به قوم ولا عرق ولا زمان أو مكان، فهى رسالة شاملة كاملة إلى يوم الدين..

رسالة تحض على الإيمان بكافة الرسل والأنبياء المبعوثين من الله جل شأنه.

رســالة هــى فى حقيقــتها منظومة واحدة متكاملة متتابعة كى تتحول أمم الأرض عن خرافاها وأكاذيبها وحيلها وخدعها وخساساها ونعراها، فتكون فى دوحة الإسلام التى تجعل (كما يحدثنا الرافعى) :

---

(١) الكهانــة كما هو معروف قد وُجدت بين العبرانيين، كما وجدت في سائر الأمم السابقة، تدعي مطالعة الغيب وكــشف حجــبه وكــذلك الأسرار والحوادث المستقبلية والماضية، كما وأنها تحتكر لنفسها سلطة الوساطة بين المخلوق والخالق وتختص بفك رموز الدين، وهي كذلك تستأثر بالشفاعات كما تضطلع بالمراسم الدينية والتبشير بكلمة الله، وقد عرفها بنو إسرائيل، ولقد كان الملك نفسه يضطلع بوظيفة كبير الكهنة كما فعل داود (١٠٠٤ — ٩٦٥ ق.م) هــذا ولقد تكررت كلمة "كهنة" ومشتقاتها نحو ٧٧٥ مرة في ذلك العهد القديم، كما عرف العرب الكهانة قبل الإسلام ولقد كان الكهانة لدى العرب على ثلاثة أوجه:

١) أن يكون للإنسان وليّ من الجن كي يخبره بما يسترقه من السمع من السماء.

٢) يدعي الأخبار بالغيبيات الآتية، أو الحاضرة من مكان ناءٍ بعيد.

٣) التنجيم والعرافة.

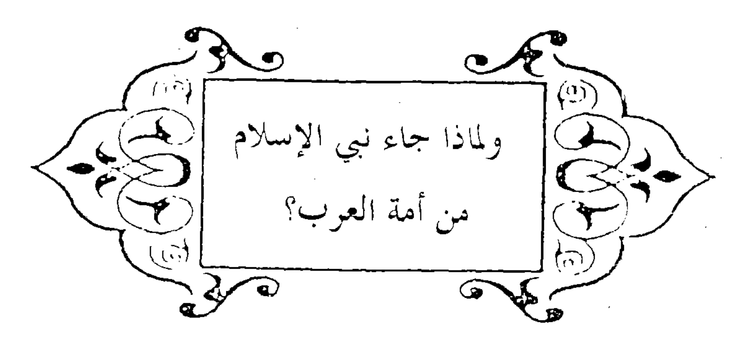
٤) فيض القدير للمناوي ج١/٢٢٤.

"مـــن خـــشية الله تعـــالى قانون وجود الإنسان على الأرض فمن أى عطفيه التفت هذا الإنـــسان وجـــد على يمنته ويسرته ملكين من ملائكة الله يكتبان أعماله بخيرها وشرها، وإذا قامـــت هذه المحكمة الملائكية وتقررت فى اعتبار النفس، قام منها على النفس شرع نافذ هو قانون الإرادة المميّزة، تريد الحسنات وتعمل بها وتخشى السيئات وتنفر منها ...

وإذا كـــلُّ مافى الإنسان وما حول الإنسان لا يراد منه إلاّ سلام النفس فى عاقبتها، وإذا معنى السلام هو المعنى الغالب المتصرّف بالإنسانية فى دنياها...

والإنسانية اليوم (مما يؤسف له) فى مثل ليل حَوْشيّ مظلم اختلط بعضه فى بعض...........

وليست معانى الإسلام إلاّ الإشراق الإلهى على هذه الكثافة المادية المتراكمة، وإذا رفع المصباح لم تجد الظلام إلا وراء الحدود التى تنتهى إليها أشعته..." .



ولماذا جاء نبي الإسلام من أمة العرب؟

والسؤال المحوري الذي يبرز الآن في هذا السياق هو:

- ولماذا جاء نبي الله من أمة العرب دون سواهم؟؟ ما هي أسباب هذا الشرف العظيم لهذه الأمة، وتفضيلهم بهذا الإشراف الإلهي على سائر العالمين أجمعين؟

ونجيب:

لقـــد استعدت هذه **الأمة** لهذا الإصلاح الروحي المدني العام، الذي اشتمل عليه منهج الـــدين الإسلامي الحنيف، بالرغم مما كانت عليه من: أمية وعبادة للأصنام وما جلبته عليها البداوة من الانقسام والفرقة، فلقد تميزت –هذه الأمة– بالصفات والسمات التي تؤهلها لتلقي النور السماوي الجديد، **الذي جاء ليبشر برسالة سماوية جديدة كي يبدد الظلمات ويحارب الأباطيل والأساطير ويقضي على الضلالات ولكي يمحو ما ران على القلوب من عصبية أثيمة كاذبة.**

- كما تميّزت أمة العرب بسعة الحرية الشخصية في الوقت الذي كانت فيه الممالك الأخرى ترسف في عبوديتين عجيبتين: **– دنيوية** **– ودينية.**

- فمحظور عليها تفهم غير ما يلقيها به رجال الدين.
- ومحظور عليها مخالفة الكهنة في المسائل الكونية.

ولقد كنا نرى أن شعوب تلك الممالك كانت مذللة تماماً للأباطرة والملوك والحكام يستخدموهم كما يستخدمون البهائم سواء بسواء، لا رأي لهم في سلم أو حرب أو في أمور الحياة بوجه عام، في حين كانت أمة العرب قد تميزت بخاصيتين على جانب عظيم من الأهمية ألا وهما:

۞ **العدل** بين أفرادها.

۞ **أوجه الكمال في فصاحة اللسان وقوة البيان** مما جعلها مؤهلة للتأثر والتأثير بالبراهين، سواء كانت: - عقلية - أو كونية

ذلك رغم أنهم لم يكونوا أرقى من تلك الممالك في شئون الصناعة والزراعة والعمران.

******

۞ **وربما قال قائل:**

ولكن هذه الأمة قد وقفت لرسول الإسلام في بداية الدعوى وقاومته وحاربته في أكثر من غزوة وموقعة؟!

ونرد بالقول:

ولكنها سرعان ما عادت لرشدها بعد أن تبيّنت أنه دين الحق وتيقنت **من بساطة تعاليمه، ومثاليته وحيويته وروحه الثورية** (خاصة على الفروق بين البشر) وديمقراطية وروح الإنصاف التي تسود نظراته في المجتمع والحياة، وكذلك اهتمامه **بالعلم والثقافة**، فانطلقوا صراعاً في ربوع الدنيا بكل الغيرة والحمية يدعون لرحابة ونشره في ربوع الدنيا كلها في زمن مثالي

******

وكما استطاع **الفاتح الأكبر – رسول الإسلام** – أن يدخل في الإسلام جزيرة العرب كلها، دون حروب عدوانية – كما يدّعي أهل الغرب – بل وفق مبدأ: أن تكون رداً على اعتداء[1]

فكذلك أيضاً كان حال خلفاء الرسول وأصحابه الكرام مع سائر البلدان التي فتحوها، فلم يحاربوا شعباً قط ليدخلوه في الإسلام وإنما قاموا **بفتوح** وذلك تطبيقاً لقوله تعالى: " إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾ [النصر: ١-٣].

وإنك لترى أن هذه الآيات تتحدث عن النصر أولا ثم الفتح، النصر على القوي التي تحول دون وصول الإسلام إلى كافة الناس، ثم بفتح المولى عز وجل بعد ذلك **القلوب** لتلقي نعمة الإسلام.

---

(١) ولا نمل أن نؤكد أن قريش هي البادئة بالعدوان على المسلمين بظلمها لهم إذ أخرجتهم من ديارهم وأسرهم وأبنائهم وأموالهم ولم ترع فيهم مواطنة ولا رحماً ولا عهداً وما زالت تهيئ لغزوة بدر حتى نازلت الرسول والمسلمين فيها بجيش كثيف، فهي إذن التي بدأت الحرب الكبيرة، ولم يبدأها الرسول كما يزعم المستشرقون. في هذا الصدد يقرر الدكتور شوقي ضيف في كتابه القيم "محمد خاتم المرسلين"" "فحرب الرسول لقريش – مثل بقية حروبه – حرب ضرورة اضطرته إليها ظروفه التي لم يعرفها الغربيون، والتي زعموا – افتراء عليه – أنها كانت تعطشاً لسفك الدماء، وينقض ذلك أنه لم يكن يقتل أسرى الحروب، وكان دائماً يقبل منهم أن يفتدوا أنفسهم".
كما يقرر:
"لم تكن حروب الرسول ﷺ - مطلقة بل قيدت منذ أول الأمر بقوانين رحيمة، وكان أول قانون فيها من تحريم أن تكون عدواناً وأن تكون حروب دفاع لا حروب اعتداء كما قال تعالى: "**ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**" وهو تحذير شديد من الاعتداء والبدء بالعدوان وقتال الأعداء".

وهكذا تم النصر في بلاد: الفرس والروم وأفريقيا المدارية وجزءاً من أفريقياً الاستوائية، وفي شتى سكان الجزر الواقعة في البحار والمحيطات بين أفريقيا وآسيا وأوروبا، وكذلك في الأندلس ومصر، كما مدوا هذه الذراع المباركة إلى أندونيسيا وماليزيا وجزءاً لا بأس به من جزء الفلبين.

۞ وفي هذا الصدد يحدثنا الدكتور حسين مؤنس [في كتابه الإسلام الفاتح] إذ يقول:

والحق أن أصدق وصف يطلق على الإسلام في هذا المقام، أنه دين طيار، ينتقل من إنسان إلى إنسان ومن أمة إلى أمة في سهولة ويسر كأن له أجنحة قدسية تحمله وتجري به مجرى الريح، وإنك لتنظر إلى خريطة الأرض وتتأمل مدى انتشار الإسلام فتتعجب من سعته، ويزداد عجبك عندما تتبين أن ثلث هذه المساحة فحسب هي المساحة التي فتحتها الدول وأدخلت الجيوش فيها الإسلام، أما الباقية فقد دخلها الإسلام وملأ القلوب أهلها دون جيش منظم أو سياسة مرسومة لذلك!! إنما هو الإسلام نفسه..."

كما يقول: "ما تكاد كلمة الحق تصافح إذن الرجل حتى يصل الإيمان إلى قلبه، فإذا استقر في قلبه لم يكن هناك سبيل إلى إخراجه منه فهو الري الذي تظمأ إليه النفوس وتستقي منه، وهو الأمل الذي يخفف على الإنسان وطأة المسير في هذه الدنيا ويهون عليه الموت، فالموت ليس آخر رحلة الإنسان مع الحياة بل هو المدخل إلى الحياة فحسب، ويعد هذه الحياة حياة هي أسعد وأبقى لمن صدق إيمانه واتقى ربه".

ولله در ابن عباد الشاعر الذي أنشد متفائلاً أثناء مسيرة جيش المرابطين لإنقاذ الأندلس من طغيان "الفونس السادس" (وليس لاحتلالها).

لا بد من فرج قريب ... يأتيك بالعجب العجيب
غزو عليك مبارك ... سيعود بالفتح القريب
لله سعدك إنه ... نكس على دين الصليب
لا بد من يوم يكو ... ن له أخا يوم القليب[1]

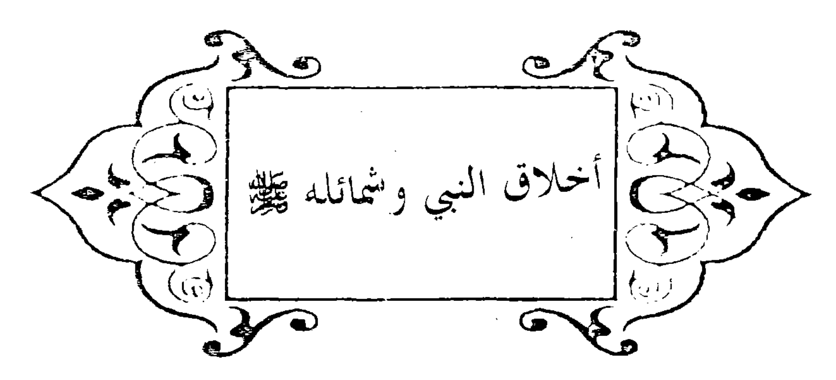
---

(١) المراد بالقليب هنا قليب بدر حيث كانت معركة أعز الله فيها المسلمين، وكما هو معروف فقليب بدر هو الجب الذي دفن النبي عليه الصلاة والسلام قتلى المشركين.

ولله در من انبعث يقول:

شباب ذللوا سبل المعالي	وما عرفوا سوى الإسلام ديناً
إذا شهدوا الوغى كانوا كماة[1]	يدركون المعاقل والحصونا
وإن جنّ الظلام فلا تراهم	من الأشفاق إلا ساجدينا
كذلك أخرج الإسلامي قومي	شباباً طاهراً حراً أميناً

والآن فإلى إطلالة حانية تسبر أغوار العبق التاريخى ليصل مداها إلى **رسول القرآن**، الذى كان خلقه القرآن، إطلاله على بعض جوانب هذه الشخصية التي أدّبها ربّها فأحسن تأديبها:



"المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"

حديث شريف

نشأ رسول الله في بلاد الفقر فقيراً، وفي رعاية الغنم يتيماً فاقد الأبوين، يلبس ما وجد، فمرة شملة، ومرة جبة صوف، فما وجد من المباح لبس. يركب ما أمكنه: بعيراً أو حماراً أو بغلة أو فرساً، أو يمشي راحلاً حافي القدمين: إذا جاع عصب الحجر على بطنه من الجوع.

هكذا كان النبي المجتبى

- جاءته عليه الصلاة والسلام يوماً حلة من حرير هدية، فبعث بها إلى جعفر بن أبي طالب إذ عاد من الحبشة، ولبس جعفر الحلة، فقال له عليه الصلاة والسلام: "**لم أعطكها لتلبسها**" قال: فما أصنع بها؟ قال: ابعث بها إلى أخيك النجاشي.
- وقام ذات يوم يخدم بنفسه وفداً من الوفود فقال الصحابة: "**نكفيك يا رسول الله**" فأجابهم: "**إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وإني أحب أن أكافئهم**".
- وتمر جنازة يهودي فيقوم صلوات الله وسلامه عليه، قالوا: إنها جنازة يهودي. فأجابهم: "**أليست نفساً؟!**"

---

(١) لابسو السلاح.

مــن أخلاقه عليه الصلاة والسلام أنه كان أحلم الناس وأشدهم حياء، لا يثبت بصره في وجـه أحد، يكرم أهل الفضل في أخلاقهم، لا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر له، يصل ذوي الرحم من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم.

اشتهر بالصادق الأمين، فأؤتمن على أنفس الأشياء وأغلاها....

نـبذ الوثنية والثنوية والإشراك بالند، كما لم يعظم صنماً في عمره قط، أو حضر مشهداً مـن مشاهد الكفر، أو شرب خمراً أو حضر مجلس لهو[1] ولم يعمل شيئاً مما كان يعمله قومه من المنكرات والفواحش... إنما كان يخلو بالغار المبارك يتعبد لله تعالى على ملّة إبراهيم صلاة الله وسلامه عليه.

هكـذا كان في الجاهلية قبل عهد النبوة، فما البال بأخلاقه بعد الوحي والرسالة؟!! كان خلقـه القـرآن الكريم، يتأدب به ويؤدب خلق الله به[2]، يبدأ من لقيه بالسلام، ومن قادمه لحاجةٍ صابرة حتى يكون القادم هو المنصرف.

كـان الرسول المجتبى يكرم من يدخل عليه، حتى ربما يبسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه قرابة يجلس عليه، فإذا ما حادثه فإنه يعطيه نصيبه من وجهه الكريم، وسمعه ولطيف محاسنه.

أرأيت في باب الكرم والمؤانسة أفسح من هذا الأفق؟!

فبالغ وأكثر لن تحيط بوصفه وأين الثريا من يد المتناول

---

(١) راجع الفصول في سيرة الرسول ﷺ لابن كثير صـ ٩١-٩٥ والبداية والنهاية ٣/٤٠٦ – ٤٥١، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/٢٤.

(٢) وعلى هذا فإننا نقرر أن كل خلق ذكر في القرآن فهو من أخلاق المصطفى ﷺ، يستوي في ذلك ما وُصف به النبي ﷺ أو ما وُجه إليه، أو أمر المؤمنون به. كقوله تعالى في سورة الأعراف: "خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ".

والحقيقة المؤكدة أننا لو أردنا أن نذكر شمائل "رسول الهدى، إمام الندى على التفصيل لطال بنا المقام دون أن نبلغ المرام، ولذا فسنكتفي بالإشارة إلى بعضها، فإنه فيض لا نهاية له، وأنّى أن تكون له نهاية وقد سجل على أوراق الدهر أعمالاً تجل عن الحصر، ترك عليها آثاراً خلا عن نظائرها الغابر والحاضر، رافقته فيها عناية الله ولاحظته ووجهته فكان خير الأنام وسيد ولد آدم. ففي محكم التنزيل يصف المولى رسوله المجتبى فيقول: "قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ" [المائدة: ١٥]. والآن دعونا نتساءل:

- كيف كانت حياة الرسول الانفرادية والاجتماعية؟
- كيف كان عدله وجوده ورحمته للأسرى وللأيتام والضعفاء وللحيوان والطير والدواب، ...... تلك الرحمة التي تشع في كل اتجاه؟
- كيف كان خلقه ومكانته عند ربه؟!
- كيف كان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس أبعدهم غضباً وأسرعهم رضاء؟!
- وكيف كان الحلم والعفو عند المقدرة، خاصة مع أهل الكتاب. من اليهود والنصارى؟!
- وكيف كان الشجاعة والنجدة والبأس؟!
- وكيف كان الحياء والأغضاء؟!
- وكيف كان لا يشافه أحداً بما يكره حياءً وإباءً؟!
- وكيف كان أعدل الناس وأعظمهم أمانة؟!
- وأخيراً حق عليه قول من جل ثناؤه وتعالت أسماؤه:

"وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ"

(صدق الله العظيم)

إنما ليست كلمات كما نراها على الأوراق، بل هي نبض يفيض بالحق لأكمل الخلق، الذي بعثه رب العزة ليحمل راية السماء في الأرض، وبرفقتها المذكرة التفسيرية من سماء الأفق الأعلـــى موضحة القصد من البعثة: التي هي ليست لشرق دون غرب، وليست للجزيرة التي اصطفاها الله لظهور الدين الجديد.

إنمـــا هـــي رحمة للعالمين، للإنس والجن مؤمنهم وكافرهم دون تحديد لزمان أو تقييد لمكان، ولقد عبر الرسول الكريم عن جوهر هذه الرسالة بقوله: "يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة"[1].

وقوله: "ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة".

******

ولنجب على أسئلتنا السابقة:

رحمة رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام

من الثابت أن بعثة الأنبياء السابقين كانت رحمة لمن صدقهم وآمن بهم واتبعهم فحسب؛ أمـــا رسول الإسلام فقد كانت رحمته تشع في كل اتجاه: للإنسان والحيوان والطير وكل ذي رطبة.

وحسبنا أن تبرز رحمة الرسول المجتبى في ثلاث نواح:

أولاً: رحمته بمن اتبعه وآمن به:

ولقد تجلت مظاهر هذه الرحمة الوارفة فيما يأتي:

١- قـــوله ﷺ: لكل نبي دعوة مستجابة: فتعجل كل نبي دعوته: وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة.... [1].

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ووافقه الذهبي وأورده السيوطي في جامعه.

٢- قيامه ليلة كاملة يبكي ويدعو لأمته:

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما: أن النبي ﷺ تلا قول الله في إبراهيم عليه السلام: "رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"(٢)، وقال عيسى عليه السلام: "إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ"(٣) فرفع يديه فقال: اللهم أمتي أمتي وبكى. فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد ﷺ فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك(٤).

٣- تجوزه في الصلاة إذا سمع بكاء الطفل حتى لا تفتن أمه

وفي هـذا يقول نبي الرحمة والملحمة: إني لأدخل الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه(٥)

وهو القائل: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا(٦).

ثانياً: رحمته بأعدائه:

لك الله يا نور الحياة وشرفها فقد شملت رحمتك الأعداء في قتالهم ومجاهدتهم، وذلك بناء على الأمر الإلهي: "وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ" [سورة البقرة: ١٩٠].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٣٦.

(٣) سورة المائدة الآية ١١٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٦) الترمذي برقم ١٩٢٠.

لك الله وأنت القائل لمن يمضي للجهاد في سبيل الله: "**أغزوا ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال...**".

وبيّنها عليه صلاة الله وسلامه كالآتي:

١- الإسلام والهجرة أو إلى الإسلام دون الهجرة ويكونون كأعراب مسلمين.

٢- فإن أبوا الإسلام فبذل الجزية. ٣- وإن امتنعوا عن ذلك فالاستعانة بالله ثم القتال.

* * * * * * *

- أُسر عمه العباس في بدر، وكان يئن من قيوده التي كانت تؤلمه بشدة، وبعد قليل لم يعد يُسمع أنينه، فسأل الرسول: مالي لا أسمع أنين العباس؟ فلما أعلموه أنهم خففوا قيوده، أمر بأن يصنعوا ذلك بجميع الأسرى.

أرأى علماء الغرب وفلاسفته في باب الرحمة أفسح من هذا الأفق؟!

ثالثاً: رحمته بالبهائم العجماوات:

ولأنها رحمة تشع في كل جهة فقد شملت رحمة المصطفى الحيوانات العجماوات والطير:

فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً أضجع شاة يريد ذبحها وهو يحد شفرته فقال النبي ﷺ:

- أتريد أن تميتها موتات؟! هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها؟[(١)].

كما قال: "**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**"[(٢)].

كما أمر رسول الرحمة المهداة والنعمة المعطاة برد فراخ الطائر الملهوف على أولاده، وذات يوم مر على حمار قد وسم[(٣)] في وجهه. فقال: "**لعن الله الذي وسمه...**"

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه وأقره الذهبي.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

(٣) الوسم: الكي بحديدة.

عدله صلوات الله وسلامه عليه:

وللعدل مجالات لا حصر لها:

فهناك العدل في **الولاية**.

وهناك العدل في **القضاء**.

وهناك أيضاً العدل في **المعاملات بين الخلق**.

كما وأن هناك العدل مع الأولاد والزوجات وذوي القربى و... غير ذلك.

ولقد رغب الهادي الأعظم في العدل بعموميته بقوله:

"إن المقسطين عند الله على منابر من نور يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"[1].

وقوله صلوات الله وسلامه عليه:

"سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل. **وشاب نشأ في عبادة الله...**"

وكـــذلك في قوله للأعرابي الذي قال له: (اعدل، فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله) ... **"ويحك فمن يعدل إن لم أعدل، خبت وخسرت إن لم أعدل"**.

لك الله يا نور الحياة وشرفها.

- **ولنتأمل ملياً حكمة عدله في هذه الرواية:**

جـــاء رسول الله صلوات الله وسلامه عليه من سفر ذات يوم فدخل على ابنته فاطمة رضى الله عنها، فرأى على بابها ستراً وفي يديها سوارين من فضة، فرجع، وحين دخل عليها

---

(١) مسلم برقم ١٨٢٧.

أبـــو رافع رآها تبكي. فأخبرته برجوع أبيها. فسأله في ذلك فقال المصطفى: "من أجل الستر والسوارين".

فلمـــا أخبرها أبو رافع، هتكت الستر ونزعت السوارين، وأرسلت **بلالا** بهما إلى أبيها قائلـــة: لقد تصدقت به فضعه حيث ترى. وحين علم الرسول بذلك قال لبلال: أذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصفة. فباع السوارين بدرهمين ونصف، وتصدق بالمبلغ عليهم.

أيها الاشتراكيون... إذا لم تكن هذه هي منتهى **حكمة العدل** بين ابنة المصطفى وسائر فتيات المسلمين اللائى لم يكن يحظين بمثلها، إذا لم تكن كذلك فماذا عساها أن تكون إذن؟!

لله درّك أيها الرسول المجتبى

******

وإنـــك إذا تأملت صفاته الكريمة وشمائله الجمة، لرأيت كيف يكون الأساس الذي تُبنى عليه **فراسة الكمال** على استواء واحد يشد بعضه بعضاً، وكأنه صورة روحية متكاملة لأشد خلـــق الله طبيعة وأصوبهم رأياً وأكرمهم خلقاً، وإنك لتستبين هذه الفراسة" التي انفرد بها نبي الملاحم على النحو التالي:

* فإن كان **قاضياً** فهو القاضي العادل الفهم.
* وإن كان **رئيساً** فهو الرئيس المتواضع الرحيم.
* وإن كان **والياً** فهو الوالي المخلص الناصح.
* وإن كان **تاجراً** فهو التاجر الصدوق الأمين[1].

(١) تأمـــل كيف اختبرت خديجة (وهي المرأة التاجرة) صدق حديث الرسول وكرم أخلاقه ونصيحته حيث خرج في مال لها إلى الشام تاجراً وكيف عرضت عليه نفسها وتزوجته.

* وإن كان **عاملاً** فهو العامل المجتهد الكادح[1].
* وإن كان **غنياً** فهو الغني السخي الحنون.
* وإن كان **فقيراً** فهو الفقير كان الشاكر الراضي[2].
* وإن كان **أميناً** للأموال العامة فهو الخازن الحفيظ العليم.
* وإن كان **أباً** فهو المداعب الحنون الكريم الصبور[3].

*****

لقـــد آمـــن هذا المصلح الكبير والمشرّع الذي ليس له نظير، بأن الدنيا، إن كانت قد خلفت له، فقد خلق صلوات الله وسلامه عليه **للآخرة**.

في الدنـــيا فإنك لترى في كل حلقة من سلسلة حياته معجزة رجل نهض بأمة متفرقة متشاكسة، لأمة متآلفة متجانسة تفتح سائر البلدان وتضرب عليها بسلطانها الكريم، رغم أنها الأقل عدداً وعدة... في الدنيا ترى هذا **الإنسان** كما وصفه الأديب الرافعي إذ يقول:

---

(١) تأمل كيف كان عليه الصلاة والسلام يشارك في أعمال البناء، فيحمل اللبن في ثيابه ويقول: اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة.

(٢) في الأثر أن عمر بن الخطاب دخل عليه ذات يوم، فإذا هو على حصير وعليه إزاره، وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه.

قال عمر: وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، وإذا إهاب (كيس من الجلد) معلق فابتدرت عيناي (دمعت).

فقال: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟!! قال عمر:

- يـــا نبي الله وما لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزائنك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار، وأنت نبي الله وصفوته، وهذه خزائنك؟!! فما رآه عمر إلا حامداً شاكراً راضياً.

(٣) تأمل قول المصطفى حين سئل: يا رسول الله!! إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمراً أو أنه يوحى إليك.

تأمل رد الرحمة المهداة والنعمة المعطاة. قال:

"كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته" (النسائي برقم ١١٤٢ ومسند أحمد ٤٩٣/٣)

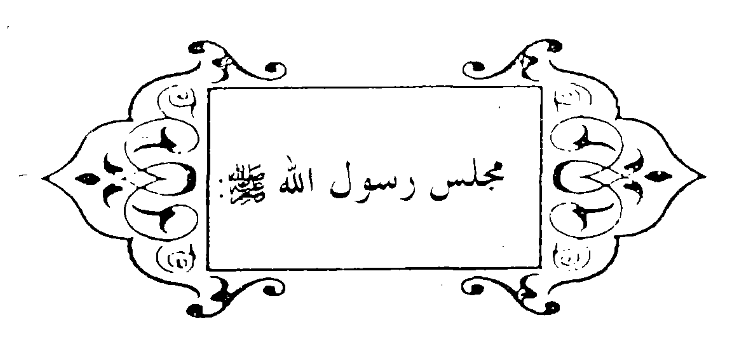
لا ريب أن الكلمات كانت من نبض قلب يتكلم. وأي قلب نقي تقي متطهر شرح صورة بنور الإيمان المبارك.

"وانظر كيف يكون **الإنسان**" الذي تسع نفسه ما بين الأرض وسمائها وتجمع الإنسانية بمعانيها وأسمائها، فهو في صلته بالسماء وكأنه ملك من الأملاك، وفي صلته بالأرض كأنه فلك من الأفلاك، وما خُص بتلك الصفات إلا ليملأ بها الكون ويعمه، ولا كان فرداً في أخلاقه إلا لتكون من أخلاقه روح الأمة"(1).

إنها لمحات لفيض من فيض لأعظم بشر في الوجود بلغ أعلى قمة من الكمال حتى صار خلقه القرآن، وحسبنا ما جاء في محكم التنزيل: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾" [سورة الأحزاب: ٤٥-٤٦].

ومن أصدق من الله قيلاً

 والآن لنلقي نظرة على مجلس الرسول المجتبى وإمام الهدى ؛



مجلس رسول الله ﷺ:

عن الحسن بن علي رضى الله عنه، قال: قال الحسين بن علي رضى الله عنهما: سألت أبي عن سيرة رسول الله ﷺ في جلساته" فقال:

"كان رسول الله ﷺ دائم البشر سهل الخلق، لَيّن الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحّاش ولا عياب، ولا مُشاح، يتغافل عما يشتهي، ولا يؤيس منه، ولا يجيب فيه، فقد ترك نفسه من ثلاث: **المراء** (الجدال) **والإكبار** (الاستعظام في المشي والجلوس) **وما لا يعنيه**، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له

(١) انظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي.

حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه (أعينوه) ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام.

كما ورد في كتب السيرة أن مجلس المصطفى عليه الصلاة والسلام كان مجلس وقار لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن[١] فيه الحرم ولا تثنى فلتاته[٢].

ولقد اتسم هذا المجلس البساطة، بساطة الفطرة وسلاستها، فالدين الذي جاء به الرسول المجتبى موسوم بهذه الصفة العظيمة التي تبهج نفوس العقلاء والحكماء، في حين تبهر الفخامة والبهرجة الزائفة، نفوس الدهماء وعامة القوم.

إنه دون أدنى ريب **جلال مستمر** من عناية الله تعالى وتأييده لأفضل المرسلين.

إنه جلال يدعو للحق المحض والخير الأسمى.

* * * * * * * * * * * * * *

روى الترمذي أن "قيلة بنت خرمة" جاءت الرسول وهو في مسجده قاعداً القرفصاء. قالت: "فلما رأيت رسول الله المتخشع في الجلسة أرعدت من الفرق".

كلمات يسجد لها العقل. إذا كيف يبدو المرء متخشعاً وترتعد منه الفرائص وترهبه وتخشاه في آن واحد؟!! كيف يتآلف الفعل ورد الفعل معاً ويتسقان في تناغم ظاهر رغم ما بينهما من تضاد وتناقض ؟!!!

ونرد بالقول لا عجب فقد كان خلقه القرآن وحسبه هذا.

لله درك يا رسول الله وأنت القائل:

"أما أنا فآكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد"

---

(١) أي لا تذكر فيه حرمات الناس بسوء أو أذى.

(٢) أي لا تعاد (والفلتة يقصد بها الزلة من القول أو الفعل إذا جرت على غير قصد بغتة).

مجلس يُنشد فيه الشعر وتنبع فيه ينابيع الحكمة والتشريع

تفد عليه الوفود ويأتيه أصحاب الحاجات، يعطي كل جلسائه نصيبيه لا يحسب أحد أن أحداً أكرم عليه منه.

مجلس وقار وحلم وحياء، فصحابته هم أولئك الغرّ المناجيب الذين اقتبسوا من مشكاة النبوة المحمدية الكمال الحق

- قوم لا نظير لهم في الأمم الحاضرة ولا سوالف في التاريخ كله.
- قوم يؤمنون إيماناً كاملاً بأن الدنيا قد خلقت لهم وأنهم خلقوا للآخرة حيث يظلهم الله بظله...
- قوم لبوا نداء ربهم في محكم تنزيله:

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ"

صدق الله العظيم

- قوم تقومت بهم جامعة البشرية فسمت إلى أقصى مراقي الكمال، وغدوا أمماً بعد أن كانوا أفراداً، قوم نشأوا في حجر النبوة وحضانتها وتخرجوا من مدرستها، مدرسة تهذيب الإنسان الذي يؤثر المبادئ على المنافع والهداية على الجباية، فأصبحوا كراماً بررة في بلاد الشرق والغرب وفي بلاد العرب والعجم، وفي قرون متقدمة ومتوسطة ومتأخرة، تجلت مآثرهم وبطولاتهم ومحامدهم في كل ناحية من مناحي الحياة الإنسانية بإذن الله تبارك وتعالى.

هم الرجال بأفياء الجهاد نموا   وتحت سقف المعالي والندى ولدوا

هم الرجال الذين نشأوا في حجر النبوة وحضانتها وتخرجوا من مشكاة مدرستها والتي تعد مدرسة لمدارس لا تحصى على الزمان كله، فقد علمتهم:

الزهد في حطام الدنيا والبعد عن كل تكلف وصناعة وعن كل رياء أو نفاق، وتجردهم من الأنانية، وإحياءهم الليل وسهرهم على مصالح الرعية وإيثار مصلحتها على مصلحتهم.

وشجاعتهم وجلادتهم وعدلهم.. **فكانوا أكبر علماء الأخلاق في الأرض، دانيها وقاصيها.**

- رجال كل فرد منهم معجزة مستقلة، وآية من آيات النبوة، ومآثرة من مآثرها الخالدة وبرهان قاطع ساطع على أشرفية لنوع الإنسان المسلم. **فهو الأفضل. وهو الأقوى. وهو الأقدر**
- رجال ليس لهم نظير في الأمم ولا سوالف في التاريخ... **إنهم نماذج إنسانية رفيعة، جعلتهم أقرب إلى الملائكة في روحانياتها،**



ولقد تحققت هذه السيرة العطرة الخالدة وتمثلت في:

- تواضع الفاروق **عمر بن الخطاب**
- **بطولة على بن ابى طالب** (٢)
- تقوى الإمام مالك بن أنس.
- همة موسى بن نصير.
- شهامة محمد بن القاسم (٣)
- بسالة حمزة بن عبد المطلب (سيف الله)
- فتوة عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) (٤)

---

(١) وهو الذي زلزل عروش الظالمين ودك قلاع الأكاسرة والقياصرة وخضعت لعدالته الجبابرة والأباطرة وهوت عناكب الظلم أمام رايات عدله وحكمته بعد أن كان عتياً جباراً في الجاهلية ويحكي التاريخ أنه قد عزل والياً من ولاته رآه يعجب من تقبيل عمر لابن له، وقد قال وهو يعزله: أنت والله بالناس أقل رحمة.

(٢) **وهو بطل حروب النبى جميعا ،وكان عهده للأشتر النخعي – واليا على مصر – قبساً من مشكاة النبوّة ،فهو وثيقة دستورية وسياسية واجتماعية واقتصادية وقضائية قامت على أسسها دول شتى لشيعة بعد ، وفيه قوله عن أهل مصر : واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضاريا تغتنم أكلهم ، فانهم صنفان : إما أخ لك في الدين واما نظير لك فى الحق " . فهو يوصى بالمسلمين والأقباط جميعا .**

(٣) وهو الفاتح لبلاد السند والهند عن عمر لم يناهز ١٤ عاماً، وقد أعجب به ملك الهند فزوجه من ابنته سيتا.

(٤) هو القائد العربي الراجح العقل النافذ العزم الذي لم ترفع له راية على عدو إلا هزمه، فتح الأمصار وشاد البناء وعمر العمران، استمرت إمارته بالأندلس ٣٤ عاماً، يعتبره المؤرخون المؤسس الأول للحضارة الإسلامية العظيمة في الأندلس والتي استمرت منذ عام ٩٠هـ حتى عام ٩٠٠هـ على وجه التقريب (وتروى ذاكرة التاريخ أنه بعد انتهاء العصر الذهبي للدولة الإسلامية بالأندلس، صدر أعجب قانون يحظر على المسلمين الاغتسال! فهدمت حمامات غرناطة والحمامات العامة، والقتل هو جزاء المخالفة!

حقاً... ما أعجب تاريخ الإنسان فوق أديم أرضه!!! ولله در القائل:

فجائع الدهر أنواع منوعة *** وللزمان حسرات وأحزان

لمثل هذا يذوب القلب من كمد *** إن كان في القلب إسلام وإيمان

- **ذكاء** أبي حنيفة والشافعي.[1]
- **صلابة** مالك[2] وأحمد بن حنبل.
- **عبقرية** الغزالي.
- **روحانية** عبد القادر الجيلاني.
- **عظمة** يوسف بن تاشفين بالأندلس.
- **مغامرات** محمود الغزنوي.
- **رقة عاطفة** نظام الدين الدهلوي.
- **سماحة** فيروز شاه الخلجي.
- **مواعظ** ابن الجوزي[3]
- **تبحر** ابن تيمية الحراني.
- **طموح** محمد الفاتح.
- **حسن** إدارة شيرشاه السوري.
- **قوة إرادة** أورنك زيب التيموري.
- **معارف** شرف الدين يحيى المنيري.
- **حقائق** أحمد بن عبد الأحد السرهندي.
- **دعوة** محمد عبد الوهاب التميمي.
- **حكمة** أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي.

---

(١) أبو حنيفة: وهو أحد أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة، كان يقوم الليل يقرأ القرآن كله في الركعة الواحدة، كما كان يُسمع بكاؤه من خارج بيته خشوعاً وتبتلاً. ويذكر التاريخ أنه حين منحه الخليفة المنصور منحة مقدارها عشرة آلاف درهم، أراد أن يرفضها (باعتبارها قد جاءت من ظالم) فتوصل إلى أن قال له عندما قدمها له: "لم يكن هذا أملي في أمير المؤمنين"، أي أنه كان يأمل أن يكون تقدير الخليفة له أغلى من المال، فسحب المنصور المال... وارتاح أبو حنيفة وأُثلج صدره لذلك كثيراً.

(٢) الإمام مالك بن أنس: وقد كان يحرص على معرفة اللفظ الأصلي الذي نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم، (كما كان إذا أراد أن يخرج ليحدث الناس حديثاً من أحاديث الرسول الكريم يتوضأ ويلبث أحسن ثيابه ويقول أنه بذلك يوقر حيث الرسول المجتبى، وكان إذا رفع أحد صوته في مجلس شرح أو عرض حديث المصطفى زجره وقال له:– من رفع صوته عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما رفع صوته في مجلس الرسول.

(٣) هو ابو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) والذي يعد علامة زمانه لتبريزه في كثير من العلوم والفنون . بلغت مؤلفاته أكثر من أربعمائة مُصنف في فروع العلم المختلفه . ولقد كان مفسرا ومحدثا وفقهيا ومؤرخا وتربويا ومتكلما ، وفوق كل هذا فقد كان واعظا أدبيا .
يصف مجلسه ابن جبير فيقول : " فلو لم نركب ثبج (وسط) البحر ونعتسف مفازات القفر إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل ، لكانت الصفقة الرابحه والوجهه المفلحة الناجحة "
ولقد اتخذ ابن الجوزي من الحديث النبوي دليلا خطابيا يقيم عليه مواعظه كما جمع في تضمينه بين معنى آي القرآن الكريم ومعني الحديث الشريف ؛ كما نري في قوله ": ياطويل الأمل في طلب الفاني ، يا عبد السوء أما غذيتك بإحساني ؟ أما خلقتك بيدي ؟ أما نفخت فيك من روحي؟ أما علمت فعلي بمن عصاني ؟ أما تستحي منيّ ؟ تذكرني في الشدائد وفي الرخا تنساني ؟ .... " وفي شعره نقرأ:

كم كم تقول غدا أتوب ...غدا غدا والموت أقرب

وكذلك قوله :

وابك الذنوب بأدمع ... تنهل من سُحب المآق
يامن اضاع زمانه ...أرضيت ما يفني بباق

وقوله:

نَعم وتقاة الله اشرف خلة... ولاخير في قول إذا ضُيع الفعل

وقوله:

كم بت علي ذنب فرحاً ... وغدوت علي ذنب طربا

۞ حلم مظفر الحليم ملك كجرات[1]

۞ **كرم** وشهامة السلطان صلاح الدين بن أيوب الكردي[2].

۞ صولات وجولات أم عمارة[3]. ۞ بسالة أم حرام بنت ملحان بن خالد[4].

---

(١) يحكي تاريخ العهد الإسلامي الزاهي قصة صراع هذا السلطان مظفر الحليم "ملك كجرات" مع السلطان الوثني المدعو "الخلجي" وكيف أغاثه وأكرمه هذا السلطان لما ضاقت به سبل الحياة بعد خيانة وزيره مندلي راي، ويحكى التاريخ أن السلطان مظفر قد حقق نصراً مبيناً للخلجي رضاء لله تعالى وعملا بقوله "وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ" [الأنفال: ٧٢] ويحكي تاريخ الهند أن الخلجي – قد أراد بعد أن عاد ملكه له على يد السلطان مظفر – أن يرد له الجميل، فاستضافه ليحتفي به وليريه خيرات مملكته والتي كانت آية من الجمال والثروة والترف والجواري الحسان، وقد ظل السلطان مظفر غاض البصر لا ينظر إلى هذا المال ولا ذاك الجمال، مما اضطر معه الخلجي بأن يسأله:

– مالك يا سيدي لا ترفع رأسك ولا تنظر هنا أو هناك؟!! وكان رد المظفر:

– إنه لا يحل لي يا صديقي، وقد قال الله "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم". وهنا قال السلطان الخلجي:

– إنهن إمائي وأنا عبدك فقد أسرتني وملكتني بإحسانك، فهم عبيد وهن إماء لك مرتين... وكان رد مظفر:

– إن ما حرمه الله لا يحله أحد يا صديقي.... إنها حجة من قبس الإسلام دون أدنى شك.

(٢) لقد حكم هذا السلطان (القرن السادس الهجري) من حدود الشام الشمالية إلى صحراء النوبة في الجنوب، وحين وافته المنية لم يجدوا في خزانته ما يكفنونه وينفقون على تجهيزه، يتحدث المؤرخ الإنجليزي ستانلي لان بول فيقول (في كتابه صلاح الدين) "إذا لم يتيسر للعالم أن يعرف شيئاً عن صلاح الدين غير ذلك الكرم وتلك السماحة التي عامل بها أهل القدس المسيحيين الأعداء حين فتحه ورده للإسلام، كان ذلك كافياً ليثبت أنه لم يكن أعظم رجل في عصره فحسب وفي علو الهمة وفي العظمة والشهامة والفتوة، بل كان أعظم رجل في هذا الشأن في كل عصر وزمان. [انظر النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد صـ٣٠٥]

(٣) والتي شاهدت مع رسول الله ﷺ المعارك الكبرى؛ بدر وأحد وخيبر، وفتح مكة وحنين وكذلك بيعة الرضوان وصلح الحديبية كما اشتركت مع جيش المسلمين لقتال مسيلمة الكذاب ومن معه من المشركين. لقد كانت تصول وتجول كالأبطال الأفذاذ: قطعت يدها عن عاتقها في إحدى المعارك فما وهنت ولا ضعفت ولكنها مضت تحارب بيدها الأخرى. إنها نسيبة بنت كعب الأنصارية الشهيرة بأم عمارة.

(٤) لقد سجل التاريخ أنها أول امرأة في البحرية المحاربة على مدى الأزمان، وكان الرسول الكريم قد بشرها بذلك سلفا، وتحققت البشارة زمن الخليفة عثمان بن عفان. وافتها منيتها بجزيرة قبرص، وفوق القبر يقرأ الغادي والرائح "قبر المرأة الصالحة"

حقـــاً:

هم الرجال بأفياء الجهاد نموا وتحت سقف المعالي والندى ولدوا

ولا تزال هذه المدرسة – مهما قسا عليها الزمان وتنكر لها الخبثاء الدهماء المتنكرون – تـــنجب أفـــذاذاً في التاريخ وتؤدي أكلها كل حين يأذن ربها، وتغيث الإنسانية بقادة نجباء مخلـــصين وعلمـــاء ربانيـــي، مصداقاً لقوله تعالى: (في سورة المائدة: الآية ٥٤) "أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ [١] أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ"

وكذا تصديقاً لقوله: (في سورة الأنعام الآية ٨٩) "فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ"[٢]

ومن أصدق من الله قيلاً!

هـــذا عن مجلس الوقار والإجلال لرسول الله ﷺ وقد اتسم ببساطة الفطرة وسلامتها وصدقها في هذه الحياة الدنيا.. ولا يسعنا إلا القول :

وهنيـــئاً: في الآخـــرة لمن سيكون قريباً من مقامه المحمود حيث يظهر فضله على كافة الأنبياء والرسل أجمعين وشفاعته لأمته بما أوتى من فضل عن رب العرش العظيم.

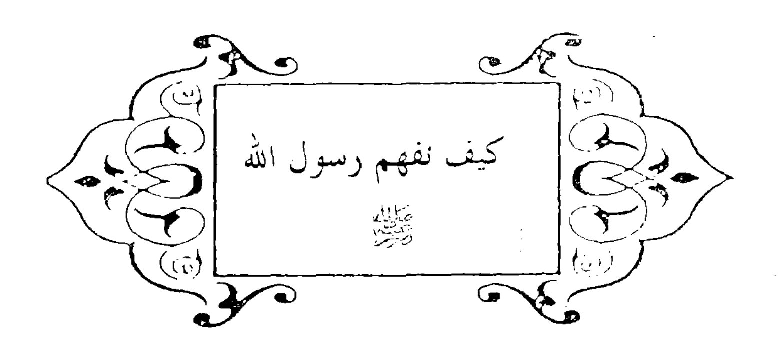
ولله در الشاعر القائل:

يا من له عز الشفاعة وحده وهو المنزّه ما له شفعاء

---

(١) أي رحماء متواضعين للمؤمنين، أشداء متعززين على الكافرين.

(٢) أي فإن يكفر بآياتنا كفار عصرك، محمد فقد استحفظناها واسترعيناها رسلنا وأنبياءنا.



" عليكم بسنتى وسنة خلفائى الراشدين من بعدي

تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ"

حديث شريف

قدمـــنا بعض من ملامح شخصية المصطفى، داعية كل عصر وإمام كل زمان ... المصطفى الإنسان الذى أبدعته الحكمة الإلهية، كى تمر فيها معانيها فتظهر للبشر إلهية مفسّرة ميسّرة...

لم يُعرف له فى أى موقف أو تصرف إلا طبيعة التفضيل العليا ومنها: **الأقوي والأصح والأعدل والأرحم والأقوم والأيسر .**

وللسائل أن يتساءل عن القوي الذهنية التى مكنت هذا الانسان من كـــل ما صنع في أيام كأيام البشر : لهم ليل واحد ونهار واحد ... !!

والجـــواب نجده فى قوله عز وجل : " الله أعلم حيث يجعل رسالته " .

وبهـــذا تخرج من القياس على خصائص الناس كل القدرات أو القوي التي وعت "**ماهية**" هذا الكمال البشري .

واستكمالا لما قدمناه ، بقى سؤال لابد أن نطرحه ثم نوفيه حقّه من الإجابة المتأنية لفهم وسبر أغوار هذه الشخصية الإنسانية المتفردة.

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى	للقرب والبعد فيه غـــير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد	صغيرة وتكل الطرف من أمم[1]
وكيف يدرك فى الدنيا حقيقـــة	قوم نيام تسـلوا عنه بالحـلم
فمبلغ العـــلم فيـــه أنه بشـــر	وأنه خـــير خـــلق الله كلهـــم

(١) -

سؤالنا هو: كيف ينبغى أن تكون نظرتنا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه؟!!

۞ أتكون باعتباره **بشرا** لا أكثر ولا أقل؟!

أم ۞ أن تكون باعتباره **رسولا** يوحى إليه؟!

- يا لها من معادلة؟ ... لكم نحن فى حاجة للتشمير عن ساعد الجد والاجتهاد للوصول إلى حقـــيقة تلك النظرة وما ينبغى أن تكون عليها لرسول السماء المجتبى، سيد ولد آدم عليه السلام خاتم النبيين؟!

للأسف لقد تبنى المستشرقون والمبشرون وجهة نظر: يتيم أبى طالب "**البشر**" ولعلهم فى ذلك يريدون التقليل من مكانة من رفض أن يكون إلها فى صورة إنسان!

أو قل لعله تعصب أعمى قد غشى الأبصار! أو لعله قصور تام فى فهم معنى الآية: "قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا"

ففـــي هذه الآية كان المشركون يعاندون ويجادلون ويرددون: لماذا لا يكون الرسول ملكا من السماء؟!!

(وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا) (الإسراء:٩٣).

ولقد أوضحت سورة الكهف ذلك المعنى وبينته تبيينا تاما:

إذ يقول المولى عز وجل فى محكم تنزيله: (**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي**)

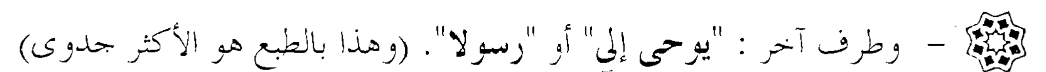
وفى هذا المعنى يمضى بنا الإمام الدكتور **عبد الحليم محمود** موضحا حقيقة الرأى إذ يقول فى كتابه: (الرسول ﷺ - لمحات من حياته ونور من هديه).

"من الحقائق المعروفة أن الإنسان يميل إلى التركيز على "بشر" أو على "يوحى إلي" حسب قوة شعوره الديني وضعفه، فالذى لا إيمان له لا يرى إلا البشرية، ومن ضعف إيمانه يركز على البشرية، ويخفف التركيز على البشرية كلما قوى الإيمان.

ويزداد التركيز "يوحى إلي" كلما زاد الإيمان حتى يصل الإنسان إلى "ألا يرى أو لا يكاد يرى إلاّ: **يوحى إلي**".

هناك إذن طرفان يمثلان فريقين من الناس :

- طرف بشرا، أو قل "**إنما أنا بشر مثلكم**"



- وطرف آخر : "**يوحى إلي**" أو "**رسولا**". (وهذا بالطبع هو الأكثر جدوى)
- وبين هذا الطرف وذاك يتأرجح عدد لا يحصى من الناس: انخفاضا أو سمّوا ، هبوطا أو ارتفاعا

بأبى أنت وأمى يا رسول الله، فأنت الرسول المجتبى : الموحى إليه، أكمل الأنبياء على مر العصور، أعظم مصلح اجتماعى ظهر فى هذا الكون.. ولكم سطرت على أوراق التاريخ أفعالا وأقوالا تجل حقا عن الحصر، وتركت عليها من الآثار ما خلا عن تكاثرها الغابر والحاضر والمستقبل حتى يرث الله الأرض وما عليها.

بأبى أنت وأمى يا رسول الله

فهـــل وَعَـــى الآبقون المتعصبون ، ضحايا الغطرسة المفرطة والتعصب الأحمق والجهل المطبق حقـــيقة هذه السيرة الشريفة العطرة؟ وبأنه (صلوات الله وسلامه على الرسول المجتبى الموحى إليه من رب السموات والأرض؟ وأن قرآنه: **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**.

- **والسؤال الذي يطرح نفسه الآن:**

هؤلاء المخادعون، أهم ظالمون أم مظلومون؟!

وإننا نرى أنهم أحرى بالإجابة على هذا السؤال بأنفسهم دون سواهم، وفقا للحكمة القائلة:

لإن كـــنت تـــدرى فـــتلك مصيبة تداويها الأيام، أما إن كنت لا تدرى فلتطاردك اللعنات والحسرات حتى تظفر بالحقيقة البينة.

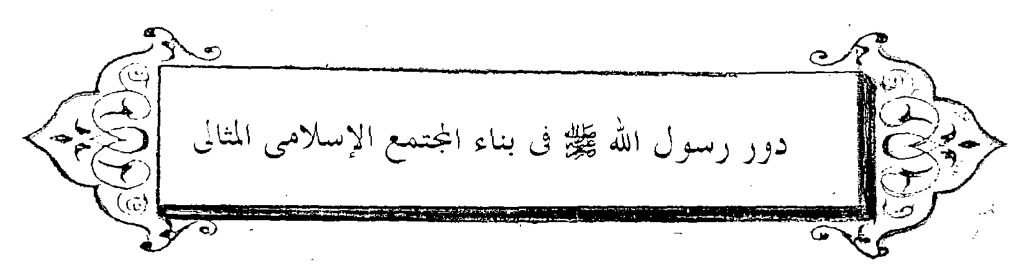
يقول المولى عز وجل:

(لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾) [سورة الحجر]

ومن أصدق الله قيلا؟! ...

- لا شك أنهم أحرى بالإجابة فيما طرحناه بأنفسهم .

واستكمالاً لفهم هذه الشخصية الفريدة ننتقل إلى نقطة هامة في حياة الرسول.



دور رسول الله ﷺ فى بناء المجتمع الإسلامى المثالى

ومن الأيام الماجدة فى تاريخ الإنسانية. كلها يوم هجرة الرسول ﷺ ...

إنه اليوم الذى أشرق نوره على الحياة كى ينقلها:

- من الظلام إلى النور.
- ومن النور إلى الخير.
- ومن الخير إلى الرحمة.
- ومن الرحمة إلى كافة الفضائل فى سموها الأخلاقى.

لقـــد كـــان رسول الإنسانية تراوده خواطر وأحلام الحكماء والمصلحين، حيث يتكامل التـــشريح مـــع التقنين، ثم التقنين مع التثقيف، ثم التثقيف مع التربية، حيث تكون "بالوحى المحمدى":

۞ إنهـــا دون شك **المدينة الفاضلة الكاملة**، التى طالما تمناها الحكماء والأنبياء والمفكرون فى سائر الأقطار ... حيث طالب نبى الرحمة "**كل قوة**" بالعمل ، فيما أعدت له.

ولكـــن كـــيف ســـتتحقق المعجـــزة؟ واليهود متربصون والمنافقون شاخصون والمشركون متوعدون ؟

كـــيف؟ والمهاجـــرون ، لـــيس لهـــم مـــن ملجأ يأوون إليه؟!!! ولا مال يبلغون قواما من العيش ؟!!!

كيف وقد انتهزت القوات المعادية للإسلام الفرصة للمقاطعة الاقتصادية؟!!

كـــيف والعـــداء بـــين أهل المدينة مستحكما ، ومنهم من كان يطمع كى يكون ملكا عليها[1]، خلاف مستحكم بين الأوس والخزرج حتى يوم بعاث..!! .. كيف؟!!!

---

(1) مثل عبد الله بن أبى وغيره.

كـــيف والعداء بين الأعداء أنفسهم مضطرب متوتر (خاصة بين جماعات اليهود) النضير والقيـــنقاع وقـــريظة) بعد أن عملوا على تشجيع عوامل التفرقة وإذكاء روح التحاسد بين العرب وذلك كى يشغلوهم بأنفسهم بهم[1]!!

كـــيف يـــا نـــبى الرحمة ألّفت ووحدت وآخيت بين هؤلاء القوم بعضهم البعض، بل كيف صنعت منهم (**كما يقول علماء الاجتماع**) عقلا جمعياً واحدا؟!! فإذا هم بحول الله كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وليفتحوا عهدا جديدا، ذلك هو **العهد الإسلامي** الذى لا تزال غرته ناصعة فى جبين التاريخ.

وإذا بمدينتك "**يثرب الفاضلة**:

قدوة الإسلام .... ثم إذا بها حرما

بأبى وأمى أنت يا رسول الله، فلم تقنط و لم تيأس قط، و لم تقل كما قال الرسل من قبلك:

---

(1) فى هـــذا الـــصدد يحدثنا الشيخ صفىّ الرحمن المباركفورى فيقول: كان اليهود أصحاب دسائس ومؤامرات وعتو وفـــساد، يلقـــون العداوة والشحناء بين القبائل العربية، ويغرون بعضها على بعض بكيد خفى لم تكن تشعره تلك القبائل، فلا تزال حروب دامية متواصلة، ولا تزال أنامل اليهود تؤجج نيرانها كلما رأتها تقارب الخمود والانطفاء، وبعد هذا التحريض والإغراء كانوا يقعدون على جانب يرون ساكتين ما يحل بهؤلاء العرب"

وما أشبه الليلة بالبارحة، إذ إننا نقرأ فى كتاب **قارعة سبتمبر** (مكتبة الشروق الدولية):

بلغ عدد ضحايا برجى التجارة العالمية بنيويورك ما يربو على الثلاثة آلاف شخص بينهم ثلثمائة مسلم) نقرأ ما نصه: كما قرأنا فى الأعلام عن خمسة من اليهود ضبطوا على سطح عمارة قريبة من مركز التجارة العالمى، ومعهم كاميرا تصور حادث ارتطام الطائرة بالمبنى، وقد دخلوا أمريكا بطريقة غير مشروعة (!!!!) ويتصرفون بطريقة وصفت بأنها غـــريبة، وقـــبض عليهم للتحقيق، ثم لم نسمع عن كل ذلك فيما بعد شيئا!!! فإن التحقيقات يكتنفها الكثير من السرية، إن لم تكن سرية تماما(!!!!) .... وبأن آلاف اليهود العاملين فى مبنى مركز التجارة العالمى قد صدرت لهم الأوامر بعدم الذهاب للعمل يوم ١١ سبتمبر . ومن جانبنا فنحن لا نتهم أحدا ولكننا نتساءل فحسب: ماذا يعنى ذلك فى حقيقة الأمر؟!!

• ﴿لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩]

• ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الشعراء:١١٨]

• ﴿ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[المائدة:٢٥]

• ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]

لم تقل هذا أو ذاك، وإنما طلبت كل قوة بالعمل فيما أعدت له، ورددت يا نور الحياة وشرفها متوسلا لرب العرش العظيم: "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد"

وغدت مدينتك مضرب الأمثال بأخلاق الكمال وكمال الأخلاق.. وتحقق الحلم الذى طالما انتظرته البشرية ... وتأكيداً للمبدأ: النبوة تعليم لا تنجيم. حقاً :

"وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ"

وشاعت القيم الإسلامية القويمة:

• المؤاخاة الصادقة. (١)
• المساواة التامة فى جميع الحقوق والواجبات .

ولأول مرة فى التاريخ نرى الإسلام، ذلك الدين القيم يلغى العنصرية والعصبية والجنسية والقومية واللون...

ميثاق التحالف الإسلامى:

كما أصدرتَ أيها الرائد القائد ميثاق التحالف الإسلامى، والذى يعتبر أعظم ميثاق للهدى والرحمة عرفته البشرية، والذى جاء فى ديباجته:

---

(١) ومـن القـصص الطريفة والنادرة اتي تناقلتها الأقلام قصة عبادة بن الصامت اذي أهديت له في الليل هدية وكان معة أثنا عشر من أهل بيتة : فقال أذهبوا بها إلي بيت أحوج إليها منا ؛ هم أهل فلان فذهـبوا بهـا فأرسـلوها إلي أحوج منـهم ؛ فصاروا يرسلونها إلي غيرهم ، حتي رجعت الهدية إلي عبادة قبل الصبح .... فلقد كان هو نفسه أحوج الجميع بها ..
ولذنه الايثار والكرم والاريحية فى أبهى صورها وابهج معيانها ، وتاكيد للمعني الجليل :
ان النبوه تعليم لا تنجيم

" **هذا كتاب من محمد النبى الأمى، نبى المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهدوا معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس...**"

دراسة التوراة بمدارس المدينة:

كما سمحت يا رسول الله ﷺ لليهود بأن يقوموا بدراسة التوراة بمدارس المدينة بكل أمانة وأمن، وعقدت معهم معاهدة ترك لهم فيها مطلق الحرية فى الدين والمال، وشرط لهم واشترط عليهم(١)، ولم تتجه سياسة هذا القائد الرائد إلى المصادرة أو الخصام أو الإبعاد أو التعصب(٢).

وهكذا بلغ الكمال النبوى مبلغا فإن كل تصور وسبق كل تطور ... فلقد التحم المجتمع فى **المدينة الفاضلة** بعضه ببعض خاصة بعد أن آخى نبى الهدى بين المهاجرين والأنصار.

لله درك يا نبى الرحمة والمرحمة والملحمة ..

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾)[سورة الأحزاب]

صدق الله العظيم

ومن أصدق من الله قيلا؟ من ؟!!

وحسبنا من هذه الأقوال الشريفة: **لرسول الهدى وإمام الندى وأبلغ من حضر وبدا وأوعظ من راح وغدا:**

- يا عائشة ، إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه (أخرجه مسلم).

(١) للتفصيل راجع ابن هشام ق١ ص٥٠١

(٢) وقد أسلم من اليهود وكان له شرف الصحبة تسعة وثلاثون رجلا.

- اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة. واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم.

(عن جابر أخرجه مسلم)

- اجتنـــبوا السبع الموبقات الشرك بالله، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات.

(عن أبى هريرة أخرجه الشيخان)

- أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً، إمام عادل وأبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأبعدهم منه مجلساً، إمام جائر.

(عن أبى سعيد أخرجه الترمذى)

- إذا التقـــى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه، فالقاتل والمقتول فى النار. قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: "إنه كان حريصا على قتل صاحبه".

(عن أبى بكر رواه الشيخان)

- إذا أم أحـــدكم الـــناس، فليخفف. فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض وذا الحاجة. وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء.

(عن أبى هريرة رواه الشيخان)

- إذا تقاضـــى إليك رجلان، فلا تقض للأول حتى تسمع كلام الآخر. فسوف تدرى كيف تقضى. (عن على رضى الله عنه. رواه أحمد وأبو داود والترمذى)

- إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر

(عن عمرو بن العاص. متفق عليه).

- إذا مات ابن آدم، انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له (عن أبي هريرة. رواه مسلم)

- أربع من كن فيه، كان منافقا خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن، كانت فيه خلة من نفـاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر. (عن عبد الله بن عمر. رواه الشيخان)

- ألا أنبئكم بأكبرَ الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ، وقول الزور.

(عن على رضى الله عنه. رواه الشيخان)

- انظـــروا إلى مـــن هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم (عن أبي هريرة متفق عليه)

- إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، هو من تركه الناس اتقاء فحشه[1].

(عن عائشة رواه الشيخان)

- إنما الطاعة فى المعروف . (عن على رضى الله عنه رواه الشيخان)

- إياكم والحسد. فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

(عن أبي هريرة أخرجه أبو داود ولابن ماجة من حديث أنس مثله)

- الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان .

(عن أبي هريرة رواه البخارى)

- تجـــدون من شر الناس عند الله تعالى يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه . (عن أبي هريرة ، أخرجه الستة)

---

(١) وقد أسلم من اليهود وكان له شرف الصحبة تسعة وثلاثون رجلا.

- ثلاثـــة لا يكلمهـــم الله يوم القيامة ولا يزكيهم قال أبو معاوية: ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر.

(عن أبي هريرة أخرجه مسلم)

- الحياء من الإيمان ، (عن ابن عمر متفق عليه)

- خياركم أحاسنكم أخلاقا . (عن ابن عمر رواه الشيخان)

- سباب المسلم فسوق وقتاله كفر . (عن ابن مسعود رواه الشيخان)

- عليكم بالصدق. فإن الصدق يهدى إلى البر. وإن البر يهدى إلى الجنة. وما زال الرجل يـــصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهـــدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً. (عن ابن مسعود.متفق عليه)

- لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان ، (عن أبي بكرة. متفق عليه)

- لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر .

(عن عبد الله بن مسعود. رواه مسلم)

- لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . (عن أنس. رواه البخارى)

- المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه.

(عن عبد الله بن عمر. رواه البخارى)

- مـــن قتل نفسه بحديدة، فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فـــيها أبـــدا، ومن شرب سما فقتل نفسه، فهو يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا. ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا. (عن أبى هريرة رواه مسلم)

- من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومـــن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة. ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة. والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه .

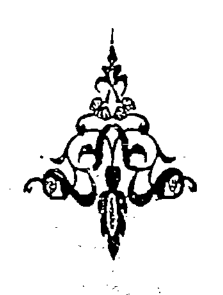
(عن أبى هريرة أخرجه مسلم)

- يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحسن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء. .

(عن عبد الله بن مسعود متفق عليه)

لله درك يا رسول الهدى:

ألفـــــت النـــــسك والعــــبادة	والخلـــوة طفـــلاً وهكـــذا النجـــباء
وإذا حلــــت الهدايـــــة قلـــــباً	نـــشطت في العـــبادة الأعـــضاء



تلخيص:

تعرضنا في هذا الجزء للسيرة العطرة للرسول محمد ﷺ، وإلى نسبه الشريف الذي يمتد إلى سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، كما بيّنا أن من أسمائه صلوات الله وسلامه عليه: محمد، وأحمد والماحي والحاشر والعاقب.

وأن ولادته صلوات الله وسلامه عليه في عام الفيل يعتبر تقدمة قدّمها الله عز وجل لنبيّه المجتبى خاتم الأنبياء... ثم ألقينا بعض الأضواء على نشأته الأولى في البادية حيث الصفاء والبعد عن المفاسد المدنية والتي كانت تزخر بأنواع شتى من الملل والعقائد المتعددة التي كانت تعتنقها البشرية وتمارسها قبل ظهور الإسلام، حيث في ربوعها نجد:

المسيحية واليهودية والصابئة والمجوسية وغير ذلك

تابعنا بعد ذلك مراحل السيرة العطرة للمصطفى منذ كفالة أبي طالب له، حتى اللحظات المجيدة، عندما جاءه الوحي كي تبدأ الرسالة المحمدية للعالمين كافة، وأوضحنا مراتب الوحي كما شرحها ابن القيّم كي يعرف المتشككون حقيقة هذا الأمر ومترلة الرسول عند خالقه جل وعلاً.

ثم شرحنا كيف أن الرسالة المحمدية حضّت على الإيمان بكافة الرسل والأنبياء المبعوثين من قِبَل الله جل شأنه وأنها – أي الرسالة المحمدية – قد نبهت إلى وحدة الرسالات جميعها، كما وأنها رسالة خاتمية.

كما بيّنا بعض جوانب الرحمة والتسامح والعظمة في شخصية نبي الأمة، والتي أكّدها الله عز وجل في محكم آيات التتريل.

****

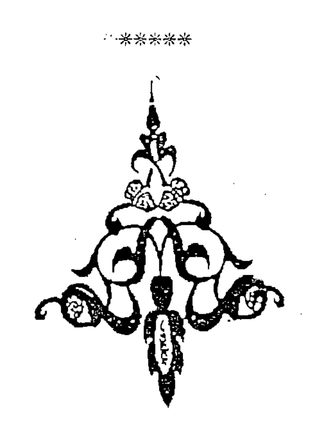
استـــشهدنا بعد ذلك بأقوال الحكماء والأدباء والعلماء من الشرق والغرب في شخصية الرسول المجتبى.

ولقـــد كـــان من واجبنا أن نوضح (وخاصة للغرب) كيف نفهم "رسول الإسلام" حتى تنقشع غشاوة التعصب بما يتضمنه من مرارات وضياع وجهل.

وأخيراً أوضحنا بالدليل القاطع والبرهان الساطع أن رسول الإسلام أول من أسس ما سبق أن أُطلـــق عليه (المدينة الفاضلة)، رغم ما كان في هذه المدينة (والتي يطلق عليها يثرب) من خلافات ونزاعات ومؤامرات وفتن بين بعضها البعض، وأوضحنا كيف تدرج بهم رسول الله سُلم الارتقاء بصلاح الاعتقاد وصلاح العمل.

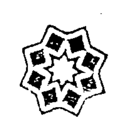
وختمنا الفصل ببعض الأحاديث الشريفة لرسول الهدى وإمام الندى محمد ﷺ.

*****



الشبهات المثارة في الإعلام الغربي

حول شخص النبي ﷺ والرد عليها



الشبهات المثارة في الأعلام الغربي

حول شحص النبي ﷺ

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾)

[سورة الكهف]

تقـــــديم:

لو أننا ألقينا نظرة عابرة أو إطلالة سريعة على كافة المجتمعات الوثنية (سواء بالقارة الهندية أو لـــبعض شعوب الشرق الأقصى، أو على شعوب أواسط أفريقيا- حيث قبائل الماساى أو غيرها .. الخ)لألفبنا أنفسنا نتساءل فى عجب وحيرة:

لمـــاذا لا تتصارع أو تتنازع هذه القبائل رغم ما بينها من اختلافات وتباينات فى الشكل والجوهـــر والعقـــيدة والممارسات؟!! وإن جرى خلاف أو نزاع فهو من قبيل الشيء النادر الحـــدوث، القلـــيل الأثـــر !! وتزداد حيرة المرء تماما لو أنه ألقى نظرة على شعوب الأديان الـــسماوية !!! لا شك أنه يرى العجب العاجب ، مع أن رب اليهود هو رب المسيحيين هو رب المـــسلمين، وهـــو رب الكون والخلق والناس أجمعين، على اختلاف مللهم ونحلهم أو هُداهم وضلالهم !!!! لا أدنى شبهة في أنها:

ثقافة الفتنة:

علـــى شاشـــات الإنترنت يجد المرء سيولا لا تنقطع عن الافتراءات واللعنات والسباب والتطاول على الإسلام ورسول الإسلام، رغم أن الأديان السماوية تأمر بالهداية، وثقافة: **الحق والخير والعدل والصدق والحب والإخاء والسلام. ونبذ ثقافة الفتنة البغضاء.**

والإسلام يعتبر أكثر الديانات السماوية تأكيدا للالتزام بهذه المبادئ وتلك القيم:

(وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ)[الأنفال]

ويـــستمر هـــراء **ثقافة الفتنة**، فتتحالف اليهودية مع المسيحية ضد الإسلام: الصفحة المشرقة (لكليهما معا) على مرّ الأزمان والدهور، ويعلن جهارا:

- المسلمون يعبدون إلها آخر غير إله المسيحيين واليهود !!!

وعلـــى شاشـــات الإنترنت تُبث كافة النعوت السيئة والسموم الفتاكة على إله[1] المسلمين (تعالى الله عما يصفون) وعلى رسوله الأمين محمد ﷺ ... ورموز الإسلام. !!!.

---

(1) الله فى الإسلام (كما ورد فى القرآن) العليم الخبير المحيط ، لا تخفى عنه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، يعلم ما يظهره الإنسان وما يخفيه، هو سبحانه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء شهيد، عنده توزن الأعمال بموازينه وعدله، اقرب إلى العباد من حبل الوريد، وإنه سميع للدعاء دون وساطات.

وعـــن صفاته، فهى فى مجموعها تصوِّر الكمال المطلق وهو كما ورد فى سورة الأنعام: (وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق، ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور، عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير الله في الإسلام ليس كمثله شئ.

ويحدثنا الدكتور أحمد شلبى فى هذا الصدد فيقول: الدين الإسلامى هو الدين الوحيد الذى لم يتخذ فيه الإله شكلاً بشرياً أو نحو ذلك من الأشكال، أما المسيحية فإن لفظ الله تحيطه تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ طاعن فى السن قد بانت عليه جميع دلائل الشيخوخة.

كذلك "ياهو" الذى يمثلون به التوحيد اليهودى، إنهم يجعلونه فى شكل من المظاهر المتهالكة، وكذلك تراه فى متحف "الفاتيكان" وفى نسخ الأناجيل المصورة القديمة .

أما الله فى دين الإسلام- الذى حدث عنه القرآن – فلم يجرؤ مصدر أو نحات أن تجرى به ريشته أو ينحته أزميله، ذلك لأن الله لم يخلق الخلق على صورته، وتعالى الله الواحد الأحد الفرد الصمد، لم يكن له كفوا أحد".

❊ ❊ الحملات التاريخية المؤسفة ضد الإسلام ورسوله عبر الأزمان الغابرة:

إذا قلبنا صفحات التاريخ ، فإننا نقرأ بين حين وحين حملات ضالة جهولة لا ساحل لها ضد هذا الدين القيم وضد نبى الهدى والرحمة "محمد" ﷺ

- ففى **القرون الوسطى** نرى صورة الإسلام قد تمثلت فى نظر ووعى الأوروبيين، وكما أوجزها الكاتب مونتغمرى وات فى كتابه "تأثير الإسلام على أوربا فى القرون الوسطى":

"هى عقيدة ابتدعها محمد، وهى تتسم بالكذب والتشويه المتعمد للحقائق (!!!!) إنما دين الجبر والإنحلال الأخلاقى والتساهل مع الملذات والشهوات الحسية (!!!)، إنما ديانة العنف والقسوة . **ويستطرد الكاتب:**

ولهذا فقد رُسم الإسلام على هيئة نموذج قبيح سيء يتعارض مع النموذج المثالى للمسيحية بوصفها ديانة الحقيقة التى تتميّز بالأخلاق الصارمة وروح السلام وبأنها عقيدة **تنتشر بالإقناع وليس بقوة السلاح**".

- كما أننا نجد فى الكوميديا الإلهية [١٣٢١ – ١٢٦٥م] للشاعر. دانتى اليجييرى، ما يؤكد تلك النظرية ويثبّتها، من شاعر يعتبر من أعظم شعراء إيطاليا، ففى الأسطورة المختلقة نرى "محمدا" قد درّب [الحمامة] لتنقر حبوب القمح فى أذنه (!!!!) وبهذه الطريقة المفتعلة أقنع العرب أن تلك الحمامة ماهى إلا رسول **الروح القدسى** الذى كان يبلغه الوحى الإلهى (!!!!)

ومما يؤسف له أن تنتشر هذه الرواية المختلفة وتعم إلى درجة أن الشاعر الإنجليزى (جون ليدهت) ، وهو من شعراء القرن الخامس عشر عندما كتب عن سيرة الرسول ﷺ "سمى لون تلك الحمامة "حليبا – أبيضا)!!.

كما ردد هذه الأسطورة المضحكة مؤرخون أوربيون، ومن بينهم الشاعر الإنجليزى وليم شكسبير[1]، والفرنسى فولتير، وفى مسرحيته التعصب ما يغنى عن القول، وكذلك سار "توما الإكــوينى على النهج ولكن وفق نظرية "**ثقافة التعصب**" بالإضافة إلى ثقافة الفتنة ففى هذا المــنحنى المتحيز يؤكد الأخير أن: محمدا قد أغوى كثيرا من الشعوب للدخول فى عقيدته من خــلال تشجيعه لهم بالحصول على الملذات والشهوات الحسية (!!!!) مع أن عزوف الرسول عن الدنيا من أقوى الأدلة على صدقه وعلى أخلاقه كما سيتضح في الصفحات المقبلة.

رسوم الرسول فى الكنائس الأوروبية:

ومــن الأمثلة المخزية فى هذا الشأن ، تلك اللوحة القميئة بكنيسة "سان بيرونيو" بمدينة بولونــيا بإيطاليا ... (والرسم الذى يرجع تاريخه إلى عام ١٤١٥م للرسام جيوفانى دوموديناً) وقــد كتب اسم النبى (صلوات الله وسلامه عليه) والرسم أبشع من أن يوصف أو يشار إليه توقيرا لمن كان يكره سفك الدماء ولو بالحق.... رسول الرحمة والمرحمة، رسول الملاحم.!

كــذلك نجد فى كنيسة "سيدتنا العزيزة" بمدينة "ديندر موند" ببلجيكا، تمثالا من الخشب لنحات الأوربى "**ماثيويس فان بيفرن**" والذى يرمز لإنتصار المسيحية على الإسلام. أما كيف كان وضع رسول المسلمين فى ذلك الهراء فشئ لا يتصوره عاقل !!!!

---

(١) ففى الفصل الأول من مسرحية هنرى الرابع نرى الملك كارل الثانى يتوجه إلى جان دارك صائحا: ألم تلهم الحمامة محمد؟ أما أنت فإن النسر يلهمك.

من المسئول:

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن: من المسئول عن مهاجمة الإسلام ورسوله ﷺ ثم يلقى الشبهات هنا وهناك؟!

إن استقراء الواقع يؤكد أن ثمة أربع فئات رئيسية فى العالم الغربى يمكن اعتبارها مسئولة مسئولية تامة ألا وهى:

١- رموز عدد من الكنائس الأوروبية والأمريكية الكبرى.

٢- القادة السياسيون فى الكثير من دول أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية[١].

٣- وسائل الإعلام الغربية (من صحافة وسينما وتلفزيون وإعلام اليكترونى ... الخ.

٤- الرموز الفكرية للتيارات العَلمانية[٢] الحديثة.

تلك هي الجهات التي يجب أن تخاطب.... ولكن كيف تخاطب؟ هذا هو السؤال المحوري والذي ستناوله في الصفحات المقبلة.

ولنمضي قدماً في بحثنا ولنتساءل :

ما هى الصورة النمطية للمسلمين فى وسائل الإعلام فى بلاد أوروبا وأمريكا؟!

---

(١) لعل من أبرزهم الحد الأعلى الواعظ: جورج بوش، وله فى ذلك العديد من الأبحاث والمؤلفات (سنناقشها فى الصفحات المقبلة).

(٢) وهو الفكر الذي يقيم الحياة بعيداً عن الدين، والفصل الكامل بين عالمنا الدنيوي والديني، فهي وكما جاء في دائرة المعارف البريطانية:

حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة، والاهتمام بالحياة الدنيا وحدها.

الحقيقة أننا فى مسيس الحاجة كى نلقى إطلالة واقعية ثاقبة، على تلك الصورة النمطية لنا كمسلمين فى العالم الغربى ، خاصة بعد الآثار الإنسحابية لقارعة ١١ سبتمبر الشهيرة .

الإسلام والمسلمون فى المناهج الدراسية:

ولنبدأ بالكتب الأكاديمية والمدرسية والموسوعات العلمية لنكتشف وضعنا وصورتنا الحقيقية كمسلمين بوجه عام، ثم نظرتهم إلى:

- القرآن الكريم والإسلام على وجه العموم.
- وكذلك الرسول محمد عليه الصلاة والسلام.

ثمة عشرات الأسئلة ستقفز أمامنا على الفور:

- من المسئول عن تأجيج هذا الاستعداء، وما هى آثاره على المدى القريب أو البعيد؟!
- كيف يمكن تعديل الصورة، أو على اقل تقدير تحسينها لكي تكون أفضل مما هي عليه الآن؟!
- من سيتولى بهذه المهمة ؟! وهل سيقرر له النجاح فى ذلك الأمر أم لا. ؟!!

لنستوضح الصورة :

أولا: صورة العرب والمسلمين فى المناهج الدراسية فى الولايات المتحدة الأمريكية[1]:

فى هذه المناهج نرى أن الصورة الذهنية السلبية عن العرب والمسلمين تعود إلى حقبة الأربعينيات (حتى الحرب العالمية الثانية) حيث كان الشرق الأوسط حتى ذلك التاريخ محمية

---

(١) إننا نولي هذه الإشكالية جانبا كبيرا من اهتمامنا ذلك لاعتقادنا بأن التأثير الإيجابى أو السلبى لوجدان واتجاهات الناشئة له أكبر مردود فى توجيه زمام حياقم المستقبلية ومن جانبنا فسنقوم بإلقاء بعض الأضواء على هذه الصور النمطية دون نقد أو تعليق مباشر.

أوروبـــية ، وكانـــت الولايات المتحدة (بصورة عامة) تترل عند إرادة حلفائها الأوربيين فى تعاملها مع هذه المنطقة

ويمكـــن القـــول أن النظـــرة الأمـــريكية إلى الشرق الأوسط "موروثة" تماماً عن القارة الأوروبية .

لقد كانت الحقائق تؤكد أن النظرة الأمريكية (قبل الحرب العالمية الثانية) أن للوغد العالمى هو "اليهودى" ، فهو : **الفاسد**، **المراوغ**، **المرتشى**، **الشره للمال** ، **الفوضوى** ... الخ.

وللأســـف تم نقل هذه الصفات السيئة والصورة البغيضة من اليهودى إلى العربى![1] وتصوير العـــرب كـــشعب بدوى مغرم بالغزو والسلب والنهب كما وأن العربى وثنى كافر !!! وإن الإسلام ديانة غير متسامحة، قد انتشر بحد السيف دون سواه!!!

❁ **فيمكن القول أن صورة العرب فى المناهج الدراسية الأمريكية تظهر على النحو التالى:**

- أنهـــم يكرهون الغرب ويشكلون خطرا عليه، بل هم ألد أعداء العالم ومثيرو الشغب والحروب على الدوام.
- وأنهم أثرياء يتسببون فى ارتفاع الأسعار (خاصة العقارات) كما نرى:
- أن "أوبك" مرادفة للعرب، ودائما ما تأتى بمضمون سلبى
- وأن صـــورة العربى والمسلم مقترنة فى أغلب الأحيان "برقص هز البطن" كما تقترن بالكوفـــية والعقـــال والعباءة للرجال، واللحية السوداء الضخمة، والحجاب للمرأة، وســـيارات اللـــيموزين... الخ تلك هي صورة المسلمين المتحيزة وكما هي في واقع الأمر.

(١) مـــن الحقائـــق التاريخية أن اليهود كانوا يعيشون فى تجمعات خارج حدود العمران المدنى والذي أطلق عليها لفظ "جيتو" وقد كان يعلن صراحة فى لافتات ظاهرة للعيان: ممنوع دخول اليهود والكلاب ، ولكن بعد انتهاء الحرب العالمـــية الثانية استطاع اليهود استرضاء الشعب الأمريكى عن طريق الأدب وخاصة فى مجال القصة ثم ملكوا زمام أمورهم بعد ذلك كما هو ظاهر للعيان الآن.

❖ محاولة تصحيح الصورة النمطية المشوهة[1]:

❁ يجـــدر بـــنا أن نشير هنا إلى جهود الدكتور **أياد القزاز** (الباحث العربى الأمريكى) ، والذى قدم بحثا علميا قيماً عن الكتب المدرسية التى تتناول العالم العربى بوجه عام

ومن النتائج التى توصل إليها هذا الباحث:

- تخلط معظم النصوص الدراسية بين العرب والمسلمين، كما لاتوضح أن حياة البدو إنما تمثل الاستثناء فى هذه المنطقة.
- مناقشة الصراع العربى الإسرائيلى لا يميل نحو العرب ولو بدرجات بسيطة.
- وأن بعض الكتب قد صدرت لتقديم حياة النبى بصورة صحيحة بصفة عامة.

❁ وفى بحث آخر خلصت الباحثة العربية: **عدوية العلمى**

جامعـــة ولايـــة أوهايـــو – (وقد تناول ٥٨ كتابا مدرسيا فى الصفوف المختلفة من رياض الأطفال حتى الصف التاسع) وقد خلصت الباحثة إلى النتائج التالية:

- تركز المناهج الدراسية بهذه الصفوف على الأوضاع البدائية للزراعة والحياة الزراعية، دون التصدى لمناقشة التغيير والتطور فى سائر البلدان.
- تركيز الاهتمام على خصائص الروح القتالية فى الإسلام وأهملت الفلسفة والمعتقدات الأساسية الرشيدة إهمالا تاما.
- جاءت معالجة القومية العربية مشوهة، وتصورها بأنها عدوانية للغاية.

---

(١) والـــتى عبر عنها أصدق تعبير: الصحفى نيكولاس فون هوفمان" المحرر بجريدة واشنطن بوست، إذ يقول: لم تشوه سمعة جماعة دينية أو ثقافية أو قومية ويحط من قدرها بشكل مركز ومنظم كما حدث للعرب!!!

وبناء على ذلك فقد شكلت **جمعية دراسات الشرق الأوسط** لجنة[1] من الدارسين لدراسة صورة الشرق الأوسط فى الكتب المدرسية للمرحلة الثانوية. وقد توصلت اللجنة إلى أن الكتب المدرسية لهذه المرحلة قد حفلت بالكثير من الأخطاء المتعلقة بالمضمون والسرد التاريخى؛ إذ أنها:

- تعالج مفاهيم الإسلام بطريقة مبتسرة وإغفال اتصاله بالديانتين السابقتين عليه، والتركيز على غرابة بعض الممارسات الإسلامية.
- التلميح إلى أن الصعوبات التى تواجه الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط ترجع بصفة اساسية إلى الطابع السلبى للقومية العربية (ونفوذ الآتحاد السوفييتى) وعداء العرب لإسرائيل وتعاظم نشاط الأصوليين.
- تصوير إسرائيل على أنها الدولة الديموقراطية الوحيدة فى الشرق الأوسط.
- تخصيص مساحة ضئيلة للأتراك وتصويرهم فى اطار صليبى محض، وأنهم مستبدون .. قساه .. وألقت على عاتقهم مسئولية قتل السكان المسيحيين وسوء معاملتهم.
- وفى بحث آخر عن صورة العرب فى كتب العلوم الاجتماعية الأمريكية خلص الباحث **أياد القزاز** (عامى ٧٤-١٩٧٥) إلى النتائج والحقائق التالية:
- معالجة الإسهامات الإسلامية بصورة مختصرة للغاية حتى بدت غير ذات أهمية، والتركيز على نزعة الإسلام إلى الحرب والإغفال التام لتسامح المسلمين تجاه اليهود والمسيحيين .

---

(١) ولقد تألفت هذه اللجنة من الأساتذة: ١- آياد القزاز (جامعة كاليفورنيا)، ويليام جريسورلد (جامعة ولاية كولورادو)، دون بيرتيز (جامعة ولاية نيويورك)، مايكل سيلمان (جامعة ولاية كنساس)، فرحات زيادة (جامعة واشنطن).

- تـصور المرأة المسلمة بأنها ذات مركز متدن للغاية وتطيع زوجها فى كل شىء رغم أنفها.

- تصوير الصراع العربى الإسرائيلى بطريقة غير متوازنة ... وتكريس أساطير مختلقة عن تحويل إسرائيل صحارى فلسطين إلى جنة خضراء.... الخ.

وفى دراسة أخرى أجراها الباحث إس . **غيه جرار** ، حيث استخدم الباحث الأسلوب الكمى والنوعى فى التحليل، كما استخدم فى التقدير الكمى أسلوب تحليل معامل التقويم ... وقد أشارت النتائج إلى النقاط التالية:

- المغالاة فى التأكيد على البدو مما يؤدى إلى عرض غير متوازن ، وإلى انطباع بأن الوطن العربى متخلف وبدائى

- مناقشة الصراع العربى الإسرائيلى لحساب جانب واحد فقط.

الخـــلاصـــة:

فى سلسلة كتاب المعرفة رقم ١٢ الصادر عن مجلة المعرفة التابعة لوزارات التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية نطالع النص التالى "وإذا كانت هذه هى الصورة المتحيزة عن العرب فى مناهج الدراسة بالمدارس الابتدائية والثانوية فى أمريكا الشمالية، فقد تزامن فى الوقت نفسه حملات مكثفة فى مواجهة كل من يحاول أن يكون منصفا أو أن يقدم منهجا موضوعيا حتى فى الجامعات الأمريكية ووصل الأمر إلى حد تهديد إلى ناطقين يعتبرون منتقدين لاسرائيل ومريدين للعرب ، كما تشهد بذلك وثيقة سرية زرعتها اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للعلاقات العامة (إيباك AIPAC) وقد تضمنت لائحة بأسماء ذكرت أنهم معارضوا

إســـرائيل ومـــروجو دعايات مؤيدة للعرب، وهى لائحة قام بتوزيعها على أعضائه المكتب الإقليمى لنيوانجلاند التابع لحلف مقاومة الافتراء Anti-defamation

❁ جهود موفقة للجنة العربية لمكافحة التمييز (A D C)

وقـــد تـــولت هـــذه اللجنة رصد الصور النمطية السلبية الموجودة داخل مناهج التعليم الأمريكية عن المسلمين والعرب وقُسمت هذه الصور إلى سبع مجموعات رئيسية وهى:

١-**صور نمطية عن العالم العربى**، وتصور هذه المجموعة العالم العربى على أنه ساحة تنافس يعـــيش فـــيها الأبطال الغربيون مغامرتهم العاطفية [ألف ليلة وليلة] [الجن] [البساط السحرى] [الأميرات] [وزير شرير ظالم]..... الخ!!

٢-**صـــورة العرب الصالحين** ، وهؤلاء ينظر إليهم على أنهم شخصيات ثانوية "دونية" "سلبيون" قلما يكونون أبطالا!!

٣-**صورة الرجل العربى** ، وينظر على أنه "طماع" "قذر" "غير متعلم" "ديكتاتور" "غير أمـــين" "فاسد" "عنيف" خائن" "بربرى" يكره اليهود والأمريكان لديه خطط سرية لـــتدمير أمريكا "مخادع" "عصبى المزاج" غير عقلانى "يخطف النساء خاصة الشقروات الغربيات"!!!

أما باقى الصور فكما سبق أن أوضحنا سلفا .

النتـــــائج:

ولقد أدت جهود هذه اللجنة (ADC) مع غيرها من الاتحادات (كإتحاد التعليم الوطنى (NEA) (خاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١) بتطوير أبحاث ومناهج وبـــرامج من شأنها معالجة مشكلة التحيّز ضد المسلمين والعرب فى المناهج التعليمية الأمريكية

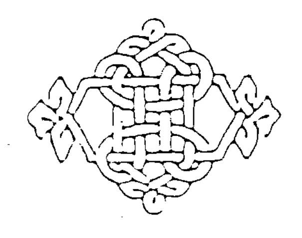
والاهـــتمام بترســيخ التسامح ، كما أنها تطالب المعلمين بتجنب إلقاء اللوم على المسلمين بخصوص الهجمات التى يطلق عليها "إرهابية" بل العمل على دراسة أسبابها وأبعادها وآثارها على كافة المحاور.

ولكـــن –للأسف– يبدو أن النتائج لم تأت فى نهاية الأمر لصالح المسلمين ، ففى المقابل ظهـــرت جماعات (غالبيتها يمينية محافظة) ترفض هذا الاتجاه وإجبار اتحاد التعليم الوطنى على إزالة بعض المواد التعليمية التى تحث على التسامح من على موقعه على الإنترنت[1]!!!!

والآن دعونا نطرح الأسئلة التالية:

- لمـــاذا لا نقدم على المزيد من النشاط على مستوى الحقوق المدنية والذى تمارسه منظمات مؤثرة مثل:
  - مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير).
  - اللجنة العربية لمكافحة التمييز (ADC)
- لماذا لا نوفّر الوسائل المرئية والسمعية والمكتوبة لهذه المدارس والتى من شأنها تقديم صورا حقيقية موضوعية عن مجد الحضارة الإسلامية ووفق التكنولوجيا الحديثة المتطورة.
- ولمـــاذا لا نوفـــر الخبراء عن الإسلام والمسلمين لعقد ندوات أو دورات تدريبية للمدرس الأمريكى للرد على الأسئلة والاستفسارات عن الإسلام والمسلمين والعرب؟!

ونتابع الأسئلة ونقتصر على طرحها لحين الإجابة عليها فى فصل قادم.



(١) يقدر عدد المدارس الإسلامية فى شمال أمريكا بمئتى مدرسة ، منها ١٧٠ مدرسة بالولايات المتحدة الأمريكية، بكل مدرسة إسلامية نحو ١٥٠ طالب.

ثانيا: صورة العرب والمسلمين فى مناهج القارة الأوروبية:

وإنها فى واقع الأمر بكل أسف لا تختلف كثيرا عن مثيلتها فى القارة الأمريكية .

وفى هذا الشأن يحدثنا الناقد والباحث السورى "خلدون الشمعة"[1] إذ يقول:

ولا شك فى أن المركزية الأوروبية يمكن إدراجها ضمن نزعة المركزية الإثنية، ونعنى بها الميل إلى الحكم على خصائص الحضارات الأخرى من موقع المجموعة الإثنية ... وغالبا ما تكـــون الأحكام الثقافية الحضارية التى يسفر عنها هذا التقويم للآخر سلبية إلى حد الحط عمدا من شأن الثقافات المغايرة.

قوة الحق وحق القوة

بهذه النزعة المركزية تصبح أوربا مركزا للعالم وتعد ثقافتها متفوقة على الآخرين الذين لا ضرورة لوجودهم فى واقع أمرهم؟!!

وبهذا الإلغاء **يبدأ "بحق القوة"**، ليتحول إلى **"قوة الحق"** ليكون في النهاية حقيقة كونية لا يرقى إليها الريب أو الشك!!!!

- نـــستخلص مـــن ذلـــك أن حوار الأديان (أو الحضارات) لا يمكن أن يصبح مجديا على الإطـــلاق، مـــا لم يعد النظر تماماً في صورة المسلمين فى المناهج الدراسية الغربية بوجه عام ، فليس ثمة أمل في الحوار مع الآخر في ظل هذا القانون الجائر، ذلك لأن الحق و القوة مبدآن لا يمكن تطبيقهما في آن واحد لسبب منطقي واضح ألا وهو أنهما مختلفان من حيث الشكل والجوهر.

---

(١) راجع كتاب المعرفة : صورة العرب والمسلمين فى المناهج المدرسية حول العالم.

ولا يمكـــن أن يجـــتمع أو يتفق الضدان معاً على صعيد واحد وجدير بالذكر أن الإسلام ومنذ بدء ظهوره كان حريصاً كل الحرص على أن يطبق في مختلف مناحي الحياة مبدأ **الدعوة إلى الحق**.

يقـــول المـــولى في محكـــم التتريل (سورة الأنبياء ١٨) "بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ" كما يقول في سورة النحل ١٢٥ "ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ".

ما دام الأمر كذلك فلا تعليق إذن على ما يسمى (**حوار الأديان**).

الخلاصـــة إذن:

أن الـــصورة النمطـــية في غالبية القارة الأوربية لا تتباين ولا تختلف كثيرا عن نظيرها في القارة الأمريكية بل ربما تفوقها قتامة.

****

أمـــا فى إسرائيل فالموقف يختلف كلية خاصة بعد إعلان قيام الدولة عام ١٩٤٨ وإعلان وثـــيقة الاستقلال واعتبار الشعب اليهودى شعب الله المختار الذى هو فوق كل الشعوب ، والـــذى سخرت الشعوب لخدمته!! واعتبار أى من الثقافات والحضارات إنما هى وحى من هذا الشعب وريادته فى مختلف الميادين.

وهكذا فقد امتلأت المناهج الدراسية بالبطولات الخارقة للشعب اليهودى، كما تم تأسيس مـــنظمات مـــن شـــأنها شحن أفكار الناشئة منذ الطفولة المبكرة بتعلم ثقافة العدوان علاوة على **ثقافة الفتنة وثقافة التعصب وقد اختلطا بثقافة التعسف!!!**

والسؤال المطروح الآن: وماذا بخصوص الكيان الصهيونى الذى تضطلع بمهامه دولة إسرائيل؟ خاصـــة بعـــد أن جسدت الصهيونية مصطلح Victimization والذى يدل على الحيلة

الـــبارعة التي يلجأ إليها المعتدى لتبرير عدوانه أمام نفسه !!! وتصوير نفسه فى صورة الضحية البريئة التي لا تستحق ما نزل – أو ما سوف ينزل– عليها من عقاب!!؟ .

وفى موســـوعة "**انسايكلو بيدى لنوعر**" (والتي مازالت تتجدد طبعاتها) مالا يخفى على فطـــنة القارئ من أن الهدف هو شحن النشء الإسرائيلى بعداء للتاريخ ولهذا الدين معا .... توطـــئة لإدخـــال الناشئة فى حالة بغضاء شعورية لا تنقطع ، ثم إلى حالة عدوان سلوكية لا تنفض ... حتى انعكست المفاهيم.

- العرب يريدون قتلنا
- العرب يريدون احتلال مدننا
- العرب يريدون قذفنا فى البحر .... الخ

والعجيب حقا أن يجد هذا المصطلح قبولا واستحسانا لدى الشعب الأوربي والأمريكى بعامـــة ... الأمر الذى مهد بعد ذلك لظهور المصطلح الأكثر حدة وصرامة ومضاء، ألا وهو "**معـــاداة السامية**" والذى صار سقفا أمينا رصينا يكفل حماية يهود العالم أجمعين فى مختلف الأصقاع والبقاع، والعجب العاجب أن يحظى هذا القانون باستحسان يفوق نظيره السابق!!! فى ظل هذه الحماية عمدت إسرائيل إلى ابتكار شخصية "**دانى دين**" وهو شخصية أسطورية خارقة متفوقة قادرة على هزيمة العرب جميعا مهما كانت قدرتهم العسكرية هذا الداني نجده :

- فى حرب الأيام الستة...
- فى الطائرة المخطوفة...
- بين الوحوش الضارية...
- دانى دين بطل إسرائيلي ..... وهكذا

أمـــا بعد .... فهذه – بكل أسف – صورة العرب والمسلمين فى المناهج الدراسية – في أمريكا ومختلف دول أوروبا التى يجرى تغذية ناشئتها بخطاب تعليمى تعميمى غير أمين وغير موضوعى على الإطلاق، بل متعصب ومحرض

وإليك المــــزيد:



الحقيقة المزيفة فى الموسوعات العلمية والأدبية:

أمـــا بخـــصوص الموسوعات العلمية والأدبية والتى تعتبر النّبع الرئيسى الذى تستقر منه المعارف بمختلف أنواعها، والتى يُفترض أنها خالصة الدقة والصدق والموضوعية...

لنلقى نظرة عابرة على موسوعة:

GRAND DICCIONARIO ENCICLOPEDICO UNIVERSAL (G.D.E.U)

(وهى مازالت متداولة حتى الآن)

(ولنقرأ فى ص٣٣١٢)

"**محمـــد**: مؤســـس الديانة الإسلامية، فعندما بلغ الأربعين عاما بدأ يتلقى أصواتا ويرى اشياء اعتبرها وحيًا من السماء تقول له: إن الله قد اختارك لإقامة الدين الصحيح ... وعندما هاجر إلى المدينة سيطر على الأوضاع فيها بانقلاب عسكري، فجعل من المدينة قاعدة لغزواته مستغلا موقعها على طريق قوافل مكة للتفرغ للسلب والنهب، ومسببا قيام حروب بين مكة والمديـــنة انـــتهت بانتـــصاره، ثم تـــوجه نحو سكان الجزيرة فأدخلهم فى الإسلام بالتهديد وباســـتخدام القوة، مما أكسب دينه لقب "الدين المحارب" ... ومع أن الله لم يسمح بالزواج بأكثـــر مـــن أربع نساء ، لكن محمدا لم يطبق ذلك على نفسه فتزوج الكثيرات[١] آخرهن عائـــشة."

---

(١) ولـــو يعلم هؤلاء أن كثرة زوجاته دليل نبوته، إذ لم تنقل إحداهن عن حياته إلا كل كمال يمكن أن يوصف به الإنـــسان، ولا سيما صفية بنت حيي بن أخطب (والتي حارب الرسول ﷺ قومها ثم سباها وأعتقها وتزوجها). وكذلك أم حبيبة التي حارب الرسول ﷺ أبيها (أبو سفيان)، وكذلك جويرية بنت الحارس (والتي كانت من سبايا بني المصطلق).

ونتـــساءل ألم يكن لهؤلاء النسوة أكبر دافع للتآمر ضد الرسول وتشويه صورته بعد موته؟! لم يحدث ذلك قط بل النقيد تماماً.

وينتهـــى الكلام هكذا: "وبغض النظر عما يقال عنه أنه كان مصابا بالصرع أو بالهولسة ، فإن عبقريته وصراحته ليستا موضع شك"!!!!!!!!!

وفي دائرة المعارف أونيفرساليس

Encyclopedia Universalis

الجزء السادس تحت عنوان "الأناجيل" نجد إشارة لاختلاف الأناجيل عن القرآن.

يقول المؤلف:

"إن المبشرين لا يدّعون – كما يفعل القرآن – نقل سيرة ذاتية أملاها الله بشكل معجز على محمد ﷺ"

وو جـــه الغرابة أن المسئول عن هذه الأكذوبة الخاصة بالقرآن، أستاذ بجامعة اليسوعيين اللاهوتية بمدينة ليون!!!

ورغم ذلك وفي هذا الخضم بدأت تشير بعض الدلائل إلى أن ثمة انفراج مأمول لرأب هذا الصدع، فقد عدلت بعض الدول الأوروبية من الصورة النمطية للعربي، نذكر منها: فرنسا ، إسبانيا ، إيطاليا، روسيا، ألمانيا... إلا أنهم –على ما يبدو- ليسوا على استعداد لوضع كل ما مـــن شأنه تغليب القيم الدينية على القيم الغربية العَلمانية[1]!!! وتلك حقيقة لا يمكن إغفالها بحال من الأحوال، كما ولا يمكن التقليل أو التهوين من شأنها.

---

(١) كمـــا هو معروف: فلقد كانت سلطة الكنيسة فى القرون الوسطى فى أوربا هى السلطة المسيطرة ، ثم حدث أن اشـــتد التنازع بين كل من الدولة والكنيسة (أو بين الدنيوى غير المقدس، والكنسى المقدس. وأصبح من الضرورى وجود حل لتوزيع السلطة وتقسيمها بين كل من الطرفين ، واتفق على أن يكون للدولة شئونها السياسية والاقتصادية والتعليمية والتشريعية (بما لا يمس الكنيسة) وتختص الكنيسة بشئون الأسرة: من مراسم زواج وطقوس الوفاة ونظام الرهبنة والشئون الكنسية، واقترح على هذا التقسيم اسم العلمانية" هى إذن نظام من المبادئ التطبيقات التى ترفض كل صور الإيمان الدينى والعبادة الدينية، على اساس الاعتقاد بأن الدين لا ينبغى أن يدخل فى أعمال الدولة (خاصة فى التعليم) أو قل هى تحول من الملكية الدينية إلى الملكية المدنية ، كما وأن العَلمانى SECULAR هو ما يتعلق بالحياة الدنيوية المؤقتة فحسب.

موقف الإعلام الغربي:

لا شك أن الإعلام يعتبر من أهم روافد ثقافة المجتمع، ونتيجة للطفرة العلمية الحديثة فقد أصبح ذات قوة تأثيرية هائلة (سلبيا أو إيجابيا) فى الرأى العام للمجتمع بل قل فى صميم "العقل الجمعى" ذاته.

وبديهيا فإذا ما أريد تغيير أو تعديل فى موقف إعلامى لمجتمع ما (الضرورة ما) ، فمن السذاجة أن نعادى هذا المجتمع أو نهاجمه دون الرجوع أصلا للمنابع الرئيسية التى سبق أن بلورت وشكلت كيان المنظومة الأيدولوجية التى أصبح يعتنقها هذا المجتمع بحكم التاريخ والثقافة؟

ونعود لنؤكد أهمية وضرورة البحث في منابع التنشئة الاجتماعية الأساسية التى شكلت وجدان وعقل وضمير أفراد هذا المجتمع (المنوطين فيما بعد بحمل لواء وسائل إعلامه وأدوات ثقافته المختلفة).

تلك حقيقة يجب أن تكون ماثلة وواضحة تماما أمام أعيننا وعقولنا

ولقد ثبت مرارا وتكرارا بأن "**الهجوم المضاد**" على وسائل الإعلام: سواء بهجمات انتحارية أو بصيحات هستيرية أو ضربات عنترية أو بمقاطعة سلبية أو غير ذلك ، لا يمكن أن يكون له أى مردود إيجابى ذات قيمة تذكر، ما لم نعد إلى دراسة منابع التنشئة (بل ربما يزيد من تأجيج الموقف ومزيد من الاحتقان والفوران وردود معاكسة غير محسوبة) ، وهذا ما حدث بالفعل وقد سبق أن تساءلنا لماذا لا نقدم وبمزيد من النشاط على مستوى الحقوق المدنية الذى تمارسه منظمات مؤثرة وفعالة مثل:

- **اللجنة العربية لمكافحة التمييز**
- **مجلس العلاقات الإسلامية (سواء فى الولايات المتحدة أو غيرها).**
- **منظمة الأيسسكو ومنظمة الألسكو**

- منظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمة الدولية للهجرة.
- جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس.
- **رابطة الجامعات الإسلامية والتي تضم في عضويتها ما يزيد على ١٠٠ جامعة إسلامية**

"ولقد كان من منجزات هذه الجمعية ذلك المشروع الموسوعي والذي يبحث في ٦ مجلدات كافة منجزات الحضارة الإسلامية في مختلف نواحيها ويبرز إسهامات العلماء المسلمين في مسيرة العلم والثقافة كما يبحث في ثوابت الدين الإسلامي وأسس عقيدته ويوضح أهم مركزاته (ويتوقع الانتهاء منه في منتصف عام ٢٠١٠م).

وبالتنسيق الكامل الدؤوب مع نخبة علمائنا وعلى مختلف التخصصات، يمكن تحقيق المزيد من الإنجازات بمنطق العلم والبحث والدراسة.

ولنتساءل **بأخلاق الإسلام**: ما الذى يضيرنا إذا ما مضينا على هدى الخطوات التى ترسمها الأقليات فى تلك البلدان أوربية كانت أم أمريكية أم غير ذلك؟

(وسنوفى هذا السؤال حقه فى الأوراق القادمة)

الشبهات المثارة فى الإعلام الغربى حول الإسلام والمسلمين:

ولنتأمل **ثقافة الفتنة**

الفيلم الهولندى : "الفتنة": تتوالى تترات قارعة سبتمبر وقد عولجت بطريقة درامية فجة ، ثم صورة لامرأة تتعرض للرجم .. وتتوالى المشاهد حيث يظهر متظاهرون عرب يرفعون لافتات كتب عليها: **فليرحم الله هتلر** .. ثم ينتهى الفيلم بلقطة بالغة الانحطاط نبرأ من تضمينها هذه الأوراق .

ونكتفى بالقول: إنها ثقافة الفتنة والتى هى بلا ريب تقوض الطاقات وتهدم حضارات الإنسان، ذلك لأن هدفها هو الشر أولاً وأخيراً وليس التفاعل من أجل التواصل أو التفاهم من أجل مستقبل أفضل في زمن يعاني فيه الجميع من طغيان المادية وتأثيرها السلبي على سائر القيم والمبادئ المثلى في كافة الأقطار شرقاً وغرباً.

وعلى غرار فيلم **الفتنة** فقد تم إنتاج عشرات الأفلام السينمائية ضد الإسلام والمسلمين (كفيلم الخضوع).

كما تتعرض النبوة المحمدية فى هذه الأفلام لهجوم متوحش جهول لغة – للأسف لا تقدر على تصورها فى غير الصورة التى ترفضها !! ذلك لأنها تتمشى فى سجيتها مع شهوة الإنكار التى تتسلط على نفوس المسخاء ، ولا سيما المسخاء الذين يهوون مغالطة التفاسير الحقة من أجل أغراض ثقافة "**الفتنة**"!!! وجهالة الخضوع.

الإسلام فى رأى الجد الأعلى جورج بوش:

(وهـــذه صورة أخرى من ثقافة الجهل، بل لعلها أشد قتامة،ذلك لأنها قد امتزجت **بثقافة التناقض كما سيتضح لنا).**

- فى كـــتاب أطلق عليه[1] **محمد مؤسس الدين الإسلامى** ،ومؤسس امبراطورية المسلمين . يتـــبنّى الجد الأعلى مقولة أن محمدا [عليه الصلاة والسلام وعلى آله الأطهار ومن اتبعه] هو إنـــسان الخطية[2]!!!! [صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله] الذى يظهر ويستعلى قبل المجىء الثانى للمسيح عليه السلام !!!! ويعتبر الجد البوشى "الارتداد" الذى يسبق هذا المجىء الـــثانى للمسيح هو بمثابة انتشارا للإسلام، كما يعتبر (وليته يعتبر) جلوس "إنسان الخطية" فى هيكل الله هو فتح المسلمين للشام وللقدس خاصة (حيث الهيكل).

والعجـــب العجـــاب أنه يتوقع عند بداية كل ألفية مجىء المسيح ثانية مع عودة المسلمين للمسيحية، وكذا دخول اليهود فى المسيحية!!!!

يا له من تفسير مغلوط ملبوس!!!!

- أما كتابة الثانى "**وادى الرؤيا**" .. إحياء رميم إسرائيل،والذى ضمنه التحريض إلى ضرورة العمل من أجل تجميع يهود العالم فى فلسطين وتدمير إمبراطورية السارازان"[3].

---

(١) الصادر عام ١٨٣٠م وأعيد طبعه بلغته الأصلية ثلاث مرات.

(٢) كما تنبأ بذلك القديس بولس على حد زعمه !!!

(٣) لقب السارزان هو الاسم الذى كان يطلقه الصليبيون والشعوب الأوربية بعامة على العرب والمسلمين (كما كان الرومان يطلقونه قديما على بعض رعاياهم تحقيرا لشأنهم)!!

وفيه يستمر الهراء ومخالفة وقائع التاريخ، فيلوى المؤلف الآيات القرآنية الواردة على لسان يوسف عليه السلام فينسبها إلى لسان الرسول محمد ، ليطلق عليه فى نهاية الأمر بأنه هو "مؤلف القرآن"!![1]

ولأن مؤلفات بوش الجد الأكبر تشكل مصدراً ومرجعاً هاماً للدراسات الأمريكية والتي قد شكلت الاتجاه العام لفهم الإسلام لدى الدارسين في القارة الأمريكية، فإننا من واجبنا هنا أن نلقي عليها ببعض الأضواء كي نستكشف ما تنطوي عليه من افتراءات وجهالة بحقائق التاريخ وثقافة الحق.

---

(١) وحسبنا الرد: لو كان القرآن من تأليف محمد عليه الصلاة والسلام، وكان محمد من عظماء الرجال فقط دون أن يكون مبعوثاً من الله هادياً ومبشراً لما أورد في الكتاب أن: "عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ"

أليست هذه حقيقة تبطل ذاك الهراء؟! كما نقول: لو كان هذا القرآن من تأليف محمد كما ورد في تشكيكات الزنادقة المرتابين، فما الذي كان يمنع محمد من ادعاء الربوبية وإعلانها على الملأ، خاصة وأن النص القرآني يعلن صراحة: "قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا" (الإسراء ٨٨)، وقد حاول العرب وجميع الأمم فظهر عجزهم، رغم حرص بلغائهم على إبطال دعوته واجتثاث تيقّنه، ما الذي كان يمنع محمد من إعلان الربوبية بدلاً من ترديده، ولم يكن في حاجة للقول أنه بشر يوحى إليه، ولم يكن في حاجة للقول: "**الحمد لله.. اللهم كما حسنت خَلقي فحسن خُلقي**" و "**اللهم اجعلني صبوراً، واجعلني شكوراً، واجعلني في عيني صغيراً، وفي أعين الناس كبيراً**".

وليرد الزنادقة الملاحدة على سؤالنا؟

● في كـــثير من فصول كتابه (**محمد مؤسس الدين الإسلامي**) نجده يصف رسول الله بأنه: (رؤوفـــاً بأعدائه – لا يقتل امرأة ولا طفلاً ولا يهدم داراً ولا يفسد زرعاً، ولا يعتدي على راهب أو ناسك، كما لا يسيء لموضع تعبد (مسيحياً أو يهودياً) كما وأنه مكتوب عند أهل الكتاب في التوراة والأنجيل في آيات من العهدين القديم والجديد تشير صراحة إلى ظهور "النبي محمـــد" وإلى انتـــشار دعوته والتي تؤكد أنه "سيناطح جند السماوات وأنه هو "النجم الذي هوى"... الخ.

إلا أنـــنا نجده في موقع آخر يصفه بأنه **إنسان الخطيئة**، أرسله الله كي يكون أداة عقاب وتأديب للكنيسة الضالة التي أساءت فهم رسالة المسيح وانحرفت بها عن سواء السبيل، والتي تمزقت بين المذاهب وصراعات الباباوات على المناصب الدينية.

ويمكن إيجاز النقاط الأساسية لكتاب الجد الأكبر فيما يلي:

١- لقـــد قدر الله انتشار الدين الإسلامي وانتصاره... وليس ثمة تفسير بشري معقول لهذا الانتصار وذاك الانتشار (!!!) ولا يمكن (في زعمه) من أن نقول أن الله أراد ذلك قضاءً وقدراً (أي إلى أسباب خافية مجهولة عن المولى سبحانه وتعالى !!!!).

٢- فتحْ المسلمين للشام هو في حقيقة الأمر: ذروة الصدمة الإلهية (!!!!) لأن هذا الفتح أدى إلى جلـــوس إنسان الخطيئة في هيكل الله، فلقد وصل المسلمين إلى القدس حيث الهيكل واستولوا عليه.

وليفّـــسر لنا عباقرة الفكر والرأي في الغرب، ذلك المدلول الديني والنفسي والمعنى الحقيقـــي لعـــبارة "ذروة الصدمة الإلهية"؟!! وهل هي كانت صدمة عقلية أم نفسية أم تاريخية؟ تعالى الله عما يصفون، سبحانه يقول للشيء كن فيكون.

٣- الدين الإسلامي دين مؤقت... وسيتم هزيمة المسلمين وسيعود الناس جميعاً إلى "أحضان المسيحية" وربما كان هذا عند عودة المسيح في الألفية (على حد زعمه).

وإنـــنا لنسأل إذا كان ذلك حقاً: فلماذا إذن يزداد عدد المسلمين في كافة أرجاء المعمورة يوماً بعد يوم وذلك بعد تفهمهم لحقائق هذا الدين القّيم..؟!!

٤- الإســـلام مجـــرد بلاء جاء به الداعي "محمـــد" الذي قام ببناء إمبراطورية إسلامية قد اســـتطاعت في غضون ٨٠ عاماً بسط سلطانها على ممالك أوسع من إمبراطورية روما والتي استغرق إنشاؤها ٨٠٠ سنة.

والسؤال: ألا يدل ذلك الانتشار على أن هذا الدين "حق" وان رسوله قد أُرسل للناس كافة رحمة لهم "وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ" (الأنبياء ١٠٧).

(**لم يقل الله:** إنا أرسلناك رحمة لجزيرة العرب، أو للشرق أو للغرب، أو لقارة من القارات.. بل قال: للعالمين. ومن أصدق من الله قيلاً)

والحق (ونحن بصدد ثقافة الحق) أن سعة هذا **الإعلان** وشموله واستمراره وخلوده، يقتـــضي أن يقـــف عنده مؤرخو العالم، بل ليقف الفكر الإنساني كله حائراً مشدوهاً يـــبحث عن مدى صدق هذا الإعلان العظيم وصحة واقعه، ذلك لأننا لم نجد في تاريخ العـــالم كلـــه (متمثلاً في دياناته ونحله وحضاراته وفلسفاته وثوراته) مثل هذا الإعلان المحيط بالكون كله، حتى أن خلاصة تعاليم الأنبياء السابقين والأخبار عن أحوالهم وسيرهم هي أيضاً مجردة عن مثل هذا الإفصاح الحق وهذا **الإعلان الحق**. فما رأي الجد الأكبر؟!

٥- العرب مجرد أعراق منحطة ومتوحشة يستحقون الإبادة.

سؤال "**لثقافة الجهل**"[1]...

ونواصل سؤالنا لثقافة الجهل:

- أيعـــني أســـتاذاً للغـــة العبرية والآداب الشرقية بجامعة نيويورك، والراعي لإحدى كنائس "انديانا".

---

[1] لعـــل ســـائل يـــسأل عن معنى هذا الاصطلاح، ونرد بالقول أنه أشبه ما يكون بقولنا "شمس الغيوم"، حين تلتف الـــسحب القائمة السوداء حول قرص الشمس لتحجب عنه الضوء ولتمنع نفاذ أشعته النافذة لمختلف الأرجاء... وتظل هكذا غير منقشعة ... ولكن بطبيعة الحال إلى حين.

هل يعني:

- الكلدانيون القدماء، أول من نزح لجزيرة العرب، والذين بلغوا شأناً عظيماً في الحضارة، فقد بنوا القصور الشامخة والمعابد الضخمة، وإليهم يعزى تشييد سد مأرب الذي لا يزال قائماً حتى اليوم بالغرب من عدن.

أم أنه يعني:

- قبائل الجنس السامي التي قد نزحت مما يلي الفرات شرقاً ونزلت اليمن وبعض أنحاء حضرموت.. وهؤلاء أيضاً قد نالوا شهرة واسعة في تشييد المدن والعمران؟!! أم أنه يعني:
- من استوطن في الجزيرة من الإسماعيليين (نسبة إلى إسماعيل ولد إبراهيم الخليل)، والذين شيدوا مجد تلك الجزيرة بما فيها الكعبة المشرفة التي يقدسها العرب منذ أقدم الأزمنة... ومن مآثرهم جعل أربعة أشهر حرماً تبطل في خلالها المنازعات وتحقق الدماء لغرضين لم تفطن لمثلهما أمة من الأمم:-
  - تبادل التجارة.
  - عقد أسواق للمباراة في ميدان الفصاحة والبلاغة والأدب شعراً ونثراً (ولقد كان حال هؤلاء إذا نبغ شاعر في قبيلة، أتت القبائل فهنأتها بذلك الخبر السعيد، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما كانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج) [1].

---

(1) ولا يمنع ذلك من وجود منازعات وخلافات، ولكن كما يقرر الرافعي – "لقد كان التنافس بالأخلاق أغلب فيهم على جانب المنازعة بالأعمال، لأن العمل مظهر الخلق، وكلما يأتون شيئاً من أعمالهم إلا ابتغاء أن يظهروا تلك الأخلاق أو يكتسبوا ما يساعدهم على المبالغة في إظهارها ولقد كان ذلك بيّن في حروبهم ومنافراتهم وكثير من عوائدهم، راجع كتاب مختصر تاريخ العرب والتمدد الإسلامي تأليف سيد أمير علي ترجمة رياض رأفت.

هذا هو الطرف الأول من المعادلة المنافي للحقيقة والواقع، وبسقوطه (أي بسقوط الافتراء بـأهم أعـراق مـنحطة متوحـشة) يسقط الطرف الثاني من المعادلة، وبهذا يسقط الادعاء والافتـراء. لتسقط معه **ثقافة الجهل**.. هذا هو منهج **الحق**، وكما يقول الإمام علي رضى الله عنه "**دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة**".

 ويمضي الجد الأكبر في ادعاءاته وقد غر به غروره فيستطرد قائلاً :

" اخترع محمد ملحمة الإسراء والمعراج لخداع السذج ولكي يعطي وزناً وقيمة لأقواله هـو شخصياً والتشبه بموسى وهذه الحقيقة (كما يزعم) تتمشى تماماً مع ما يمكن تأكيده بشكل عام، وهو أن نسل إسماعيل كانوا ميالين لتقليد نسل إسحاق ويعقوب الذين نالوا بركة العهد من الله، وانسالت بركة هذا العهد في ذرياتهم... الخ. "

ونـرد بالقول على أستاذ العبرية: أن الإسراء لم يكن مجرد حادث فردي بسيط رأى فيه المـصطفى (صـلوات الله وسلامه عليه) الآيات الكبرى حيث تجلت له ملكوت السماوات والأرض: شاهدة وعياناً .

۞ بل لقد احتوت هذه المرحلة النبوية الغيبية على مفاهيم دقيقة عميقة تماماً وإشارات غاية في الحكمة.

• منها:

أ- أن محمد ﷺ نبي القبلتين وإمام المشرقين والمغربين.

(١) ولا يمنع ذلك من وجود منازعات وخلافات، ولكن كما يقرر الرافعي – "لقد كان التنافس بالأخلاق أغلب فيهم علـى جانب المنازعة بالأعمال، لأن العمل مظهر الخلق، وكلما يأتون شيئاً من أعمالهم إلا ابتغاء أن يظهروا تلك الأخـلاق أو يكتـسبوا ما يساعدهم على المبالغة في إظهارها ولقد كان ذلك بيّن في حروبهم ومنافراتهم وكثير من عوائدهم، راجع كتاب مختصر تاريخ العرب والتمدد الإسلامي تأليف سيد أمير علي ترجمة رياض رأفت.

ب- ووارث الأنبياء قبله وإمام الأجيال بعده، فقد التقت في شخصه وفي إسرائه: **مكة بالقدس والبيت الحرام بالمسجد الأقصى.**

ج- الإيذان بعموم رسالته (بعد أن صلى الأنبياء خلفه) وبخلود أمامته وصلاحيتها لاختلاف المكان والزمان•هذا إذا كنت قد قرأت القرآن الكريم بلغته التي نزل بها، أما إذا كنت قد فعلت غير ذلك فلا تلم إلا نفسك.

يقرر العلامة أبو الحسن الندوي **"جاء الإسراء خطاً فاصلاً بين الناحية الضيقة المحلية المؤقتة دين النبوة الخالدة العالمية، فإن كان الرسول عليه الصلاة والسلام زعيم أمة أو قائد إقليم، أو منقذ عنصر، أو مؤسس مجد لم يكن في حاجة إلى أن تتصل بسببه الأرض بالسماء اتصالاً جديداً، لقد كان له في أرضه التي يعيش فيها وفي محيطه الذي يكافح فيه، وفي مجتمعه الذي يسعى لإسعاده غنًى وَسعَة، لا يفكر في غيره ولا يتجاوز إلى رقعة أخرى من الأرض فضلاً عن السماوات العلى وسدرة المنتهى، وفضلاً عن المسجد الأقصى الذي يبعد عن بلده بعداً كبيراً والذي كان في ولاية الديانة المسيحية وحكومة الأمة الرومية القوية".**

ونقرر ونقول: إن كان الجد الأكبر قد غرّه الغرور ولا يزال في شك في أمر رحلة الإسراء والمعراج لهذا النجم الإنساني العظيم الذي تحول من إنسانيته إلى نوره السماوي في هذه المعجزة، إذا كان في شك في هذه الضيافة الكريمة من الله عز وجل لرسوله الكريم، فإننا نقول له: فلتفسر لنا إذن — ومعك من تشاء من الحكماء والأدباء والفلاسفة والعلماء — المعنى الذي انطوت عليه الآية الكريمة في سورة (النجم): "إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ"

فبأي حقيقة زاغ البصر وبأي حقيقة لم يطغ؟!!

ألا تـــرى يـــا أستاذ الآداب الشرقية: أنها حقيقة كونية في غير حالتها الأرضية العادية وكما أراد عز وجل من آياته الكبرى ؟

ألا ترى أنها **ثقافة الإعجاز** وقد امتزجت بثقافة الحقائق الكونية...؟!!!

لتـــتمعّن أيها الجد الأكبر معاني الإعجاز وبيانها في لغتها العربية لا في غيرها، لعلك تصل لثقافة الاستنارة. [1]

وفي هذا الخصوص أيضاً يحدثنا الرافعي فيقول[2]:

"والقـــصة بعد ذلك تثبت أن هذا الوجود يرق وينكشف ويستضئ كلما سما الإنسان بـــروحه، ويغلظ ويتكاثف كلما نزل بها، وهي من ناحية النبي ﷺ قصة تصفه بمظهره الكوني في عظمته الخالدة كما رأى ذاته الكاملة في ملكوت الله، ومن ناحية كل مسلم من أتباعه هي كالدرس في أن يكون لقلب المؤمن معراج سماوي فوق هذه الدنيا ليشهد ببصيرته أنوار الحق وجمـــال الخير وتجسد الأعمال الإنسانية في صورها الخالدة، فيكون بتدبّره القصة كأنما يصّعد إلى الـــسماء ويـــترل فيستريح إلى الحقائق الأساسية لهذه الحياة، فيدفع عن نفسه بذلك تعقّد الأخيلة الذي هو أساس البلاء على الروح.

ومتى استنار القلب كان حياً في صاحبه وكان حياً في الوجود كله..."

وهذه هي **ثقافة الاستنارة** في شريعة الإسلام التي نقلت الإنسان بغرائزه إلى عالم **الخلق** ثم ارتقت **بالخلق** إلى أفق **الحق** ثم سمت بالحق إلى الخير الأسمى للشرق والغرب... حتى إذا ما رنّ صوت الحق منه، تولى الإفك وانحطم انحطاماً... **إنها ثقافة الاستنارة، وقد امتزجت بثقافة** الحق **أيها الجد الأكبر.**

---

(١) المتأمل لترجمة العبارة القرآنية "مازاغ البصر وما طغى" (والتي وردت بعد: "إذ يغشى السدرة ما يغشى" ثم يتأمل النص كما تمت ترجمته باللغة الإنجليزية التي وردت هكذا:

"(His) sight never swerved, nor did it go wrong"

يستـــشعر لا محالة بالبون الشاسع في البيان والمجاز والإعجاز بين كلمات رب العرش المجيد وبين ماورد باللغـــة الإنجليزية، فالترجمة – كما تدري يا أستاذ اللغات الشرقية – خيانة للنص الأصلي، أم تُرى أنك قد قرأت ما قرأت باللغة العبرية التي أنت أستاذها. فحدث لك ما حدث.

(٢) وحي القلم – الجزء الثاني.

ومع ترّهات الجد الأكبر نتصفّح:-

٦- فكــرة الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم خير دليل (على حد زعمه) على الادعاء وتغيير الأحكام وفق الأهواء... الخ

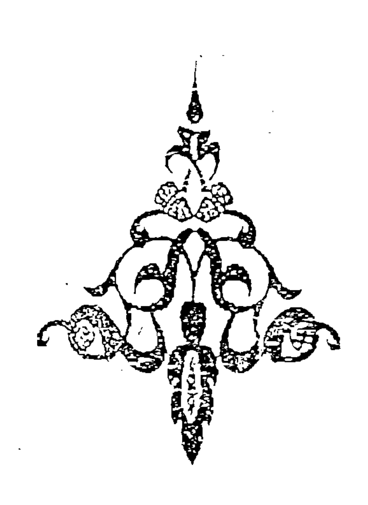
ونــرد بالقــول: إن أعداء الإسلام (كالملاحدة والمبشرين والمستــشرقين) قــد اتخــذوا من النسخ أسلحة مسمومة لينالوا من قدسية الرسالة سماوية، واجــتهدوا – سامحهم الله – في إقامة الحجج البراقة لنشر شبهاتهم، حتى سحروا عقول بعض المنتسبين إلى العلم... فجحدوا وقوع النسخ.

ونقــول: إن إثباتِ وجود النسخ يكشف النقاب (لمن أراد وابتغى الموضوعية الحقة) عــن ســير التشريع الإسلامي، بل ويُطلع المرء على حكمة المولى في تربية الخلق بتجديد الأحكام، ومما يدل بدلائل واضحة قاطعة على أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه النبي الأمــي لا يمكــن أن يكون مؤلفاً (كما يزعم الجد الأكبر) لمثل هذا الإعجاز... وإنما هو تنزيــل من رب العزة سبحانه جلّت قدرته، فما من سورة من سوره ولا آية من آياته ولا كلمة من كلماته، إلا ويدور حولها بحث ودراسة بألسنة الباحثين من العلماء والمتفقهين في الــدين... ولكــن في إطــار "ثقافــة العلم"[1] "وثقافة الحكمة" وثقافة الإعجاز والمنهج الموضوعي.

"وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا" (سورة البقرة ٢٦٩)

هــذه الحكمــة تقتــضي معرفة ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله .

يقول الإمام ابن حزم الظاهري: لا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول في شيء من القرآن والسنة: هذا منسوخ إلا بيقين لأن الله عز وجل يقول: "وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ". وقال تعالى: "ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ" فكل ما أنزل الله في القرآن وعلى لسان نبيه فرض اتباعه، فمن قال في شيء من ذلك إنه منسوخ فقد أوجب أن لا يطاع ذلك الأمر وأسقط لزوم اتباعه، وهذه موصية لله تعالى مجردة وخلاف مكشوف إلى أن يقوم برهان على صحة قوله، وإلا فهو مفتر مبطل..." (٢)



(١) وللعلم فالقرآن الكريم يحتوي على أكثر من ألف أية صريحة تتحدث عن الكون وعن بعض مكوناته وظواهره، بالإضافة إلى آيات أخرى متعددة تقترب دلالتها من الصراحة وهذه الآيات لم ترد من قبيل الإخبار العلمي المباشر للإنسان، ذلك لأن الكشف العلمي ترك لاجتهاد الإنسان وتحصيله عبر فترات زمنية طويلة ذلك الأمر... تلك الآيات الكونية إنما جاءت في مقام الاستدلال على عظيم القدرة الإلهية في إبداع الخلق وعلى أن الخالق المبدع قادر على إفناء خلقه، وعلى إعادة هذا الخلق من جديد، وليتأمل المتأملون قول المولى العزيز الحكيم في محكم كتابه: " وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ " ولم يقل (والسماء ذات المطر). وقوله تبارك وتعالى: "وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ " فلم يعرف سر هذا الصدع إلا في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين وأنه لولا أن قدر الله سبحانه وتعالى للأرض هذه الشبكة من الصدوع لانفجرت منذ اللحظة الأولى لتجمد قشرتها، وهكذا أدرك العلماء أن من صفات أرضنا الأساسية أنها أرض ذات صدع وسبحان الله العلي القدير.

(٢) انظر الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٤/ ٤٥٨ .وانظر كتب "نواسخ القرآن" لابن الجوزي والناسخ والمنسوخ "لأبي جعفر النحاس" والناسخ والمنسوخ لعبد القاهر البغدادي.

تعقيب وتقريب:

وهكذا نرى بوضوح تام أن السيد الواعظ (الجد بوش) لا يدع سبيلا لتزييف التاريخ والحقائق البينة إلا سلكه كى يستقيم له التفسير المغلوط الذى تبناه، هذا التفسير قد سمعنا ورأينا من يسحبه على غزو العراق فى مطلع القرن العشرين ولقد تصدى الدكتور القس "أندريه زكى" ابن الكنيسة الشرقية لهذه الترهات إذ يقول[1]:

من الناحية اللاهوتية تفتقر هذه الحرب إلى اسانيد لاهوتية تدعم مبرراتها ... فاللجوء إلى نبوءات سابقة قد تحققت عبر التاريخ ، ولم يعد لها مكان فى مستقبل الإنسانية أمر خطير، كما وأن استدعاء هذه النبوءات فى ظروف تاريخية معاصرة لا يخدم سوى الجماعة التى استدعتها ، ويجهض المعنى الحقيقى لهذه النصوص النبوية ويفرعها من واقعها التاريخى وخلفيتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية إلى محاولة استخدام النص الدينى فى ظرف تاريخى مغاير يجهض البعد التاريخى لهذا النص ... هذه الحرب تفتقر إلى مبررات أخلاقية ولاهوتية

ومن جانبنا فإننا نعود لنؤكد أن من ينكر الرسالة النبوية أو يتشكك فيها فذلك لأنه لا يقدر على تصورها فى غير الصورة التى يرفضها ويأباها ذلك لأنه قد مضى على درب ثقافة الفتنة الممتزجة بثقافة التعصب دون أى حدود أو فواصل.

وبهذا الخصوص يحدثنا المفكر عباس محمود العقاد[2] فيقول: .... ولعلهم يلذ لهم أن يتصوروها على هذه الصورة، لأنها تتمشى فى طبائعهم مع شهوة الإنكار التى تتسلط على عقول المسخاء، ولا سيما المسخاء من أدعياء العلم والتفكير ، ولا يراد من هؤلاء أن ينبذوا العقل ليدركوا حتى حق الإسلام، ولكن يراد منهم أن يوسعوا أفق العقل، فيعلموا من ثم أن العقل لا يمنعهم أن يدركوا حق الإسلام بل يمنعهم أن يقبلوا عقلا أنه وحى من عند الله .

---

(١) فى مقال نشره الأهرام بتاريخ ٢ مايو ٢٠٠٣ م

(٢) فى كتابه حقائق الإسلام وأباطيل خصومه.

فمن حقائق العقل والعلم أن الشكوك لا تبطل فرضاً من الفروض إلا إذا كانت قاطعة في بطلانـــه ، ولا يجـــوز فيها الأخذ بأحد الرأيين المختلفين ... ولا يجوز لهم أن ينكروه لأن الجهلاء يفهمونه كما يفهم الجهلاء كل شيء، فكل حقيقة كبرت أم صغرت لابد أن يفهمها الجهلاء فهماً يخالف ما يفهمه منها العارفون وذووا البصيرة والدراية ... ولا يجوز أن ينكروه لأن العصور المتعاقبة تتدرج في فهمه والنفاذ إلى سرّه..."

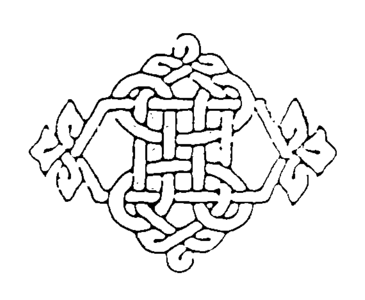
ويا له من عقل، ذلك الذى ينكر الشيء ثم لا يستطيع أن يتصوره إلا على الصورة التى أنكرها!!!

ومـــن جانبـــنا فحـــسبنا أن نـــرد على ثقافة الفتنة (التي لا ساحل لها) بالحكمة والموعظة الحسنة ... وشهد شاهد من أهلها.

إنها ثقافة الحق ... الحق الموضوعي.

ذلك الحق الذي يُبعد الشيطان على حد قول شاعركم الدرامي: وليم شكسبير .

****





ثقافة الحق ...

وعلى النقيض من هذا الجانب المظلم الأسود لعلماء متجاهلين وجهلاء متعالمين، وسفهاء آثمـين حانقين فإنه يمكننا أن نقدم نماذج رائعة من انطباعات مشرقة حقة لكوكبة من ساسة واقعـيين منصفين وشعراء وأدباء فضلاء محققين، آمنوا كل الإيمان بالحق(١)... حقائق الحياة كلها كما ينبغي أن تكون عليه في سموها، وليس كما ينبغي أن تعرض عليها فتحمها لغرض ما وزيغ ما.

ومما لا شك فيه أن هذه **الكوكبة المتفهمة للحق** دون سواه قد استلهمت في إدراكها هذه المعاني الجليلة في قول رسول الإنسانية حين كان يتهجد ويدعو ربه ويقول:

"**اللـهم لك الحمد، أنت رب السماوات والأرض وما فيهن، ولك الحمد، أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، وقولك حق ووعدك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت...**"

كما وأنها ولا شك قد استلهمت معاني ودلالات الدين الحق، في قول الله تبارك وتعالى:

"فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ"

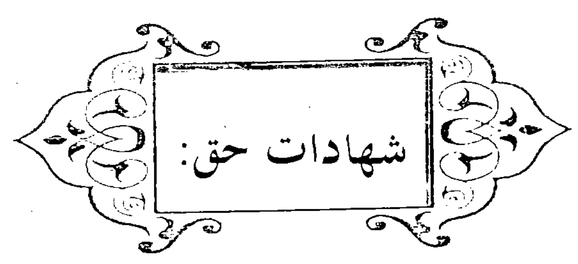
وقوله عز وجل: "وخلق الله السموات والأرض بالحق"

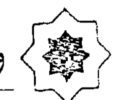
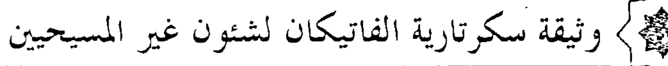
ومن أصدق من الله قيلا !! من؟!!

---

(١) ولله در العالم الفقيه الإمام الشافعي إذ يقول: **إذا لم تشغل نفسك بالحق، شغلتك بالباطل.**

كما قال الفيلسوف في الزمن الغابر: **الحق أعز عليّ من أستاذي.**



وثيقة سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين

وعنوانها: توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين" (وهي تقع في نحو ١٥٠ صفحة).

دعت هذه الوثيقة إلى استبعاد الصورة التي يصور المسيحيون "المسلمون" عليها[1]:

"تلك الصورة البالية التي ورثنا الماضي إياها أو شوهتها الافتراءات والأحكام المسبقة".

كما اهتمت الوثيقة:

"بالاعتراف بمظالم الماضي التي ارتكبها الغرب ذو التربية المسيحية في حق المسلمين"

كما تؤكد الوثيقة على وحدة الإيمان بالله عند الجماعتين وضرورة: **"مراجعة مواقفنا إزاء الإسلام وبنقد أحكامنا المسبقة"**.

و: **"علينا أن نهتم أولاً بأن نغيّر تدريجياً من عقلية إخواننا المسيحيين، فذلك يهم قبل كل شئ" و "ومن المهم والأساس أن نكف عن أن ننمي في مكنون قلوبنا النظرات المتسرعة بل التحكمية، تلك التي لا يتعرف فيها المسلم المخلص على نفسه".**

لا شك أنها وثيقة شديدة الدلالة على المواقف الجديدة التي تبنيت إزاء معاداة الإسلام.

ويمكن القول أن هناك ما يدعو إلى الأمل، فالأديان (كما يقرر الباحث الفرنسي موريس بوكاي) [2] "لم تعد اليوم منطوية على نفسها، وكثيرون يبحثون عن التفاهم المتبادل، وأنه لمما يبعث على التقدير ما يحدث اليوم على أعلى مستويات المناصب الرسمية، حيث يجتهد مسيحيون كاثوليكيون في إرساء أواصر الصلة مع المسلمين ويحاولون مكافحة عدم الفهم ويبذلون ما في وسعهم لتصحيح وجهات النظر غير الصحيحة المنتشرة عن الإسلام.

---

(١) الطبعة الثالثة عام ١٩٧٠.

(٢) في كتابه: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم.

 ولقد تناولت الوثيقة بالنقد الأحكام الخاطئة الصادرة عن الإسلام مثل:

١) **جبريّة الإسلام:** ذلك الحكم المسبق وواسع الانتشار، فقد استعانت الوثيقة بذكر آيات من القـــرآن الكريم لتعارضه بمفهوم مسئولية الإنسان الذي سيحكم عليه بما فعل، كما بينت الوثـــيقة خطأ المفهوم القائل بحرفية القواعد الإسلامية وتعارضه بالمفهوم القائل بالإخلاص في الإيمان وذلك بذكر ما ظل يجهلونه الغربيون عن عبارتي القرآن:

- "لَآ إِكۡرَاهَ فِى ٱلدِّينِ" (البقرة الآية ٢٥٦).
- "وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِى ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٍ" (الحج الآية ٧٨).

٢) تعارض الوثيقة الفكرة الشائعة "فوبيا الإسلام"، وتؤكد على أن الإسلام دين حب، حب الإنـــسان المتأصـــل في الإيمـــان بـــالله، كما تدحض الفكرة التي نشرها كثير من اليهود والمسلمين عن تعصب الإسلام، وكما جاء في نص الوثيقة.

"والواقـــع أن الإسلام عبر التاريخ لم يكن أكثر تعصباً من المدينة المسيحية عندما كانت المسيحية تكتسب – بشكل أو بآخر – في هذه المدينة قيمة سياسية".

كما تفسر الجهاد في الإسلام تفسيراً رائعاً، وكما ورد بالوثيقة:

"وليس الجهاد مطلقاً ما يعرف بـــ Kherem في التوراة، فالجهاد (في الإسلام) لا يسعى إلى الإبادة، بل يسعى لأن يمد إلى مناطق جديدة حقوق الله والإنسان".

كما ورد: "ولقـــد كانـــت أعمال العنف في حروب الجهاد في الماضي تخضع عموماً لقوانين الحـــرب، وفي عصر الحروب الصليبية لم يكن المسلمون هم دائماً الذين ارتكبوا أكبر المذابح".

٣) كما تنفي الوثيقة عن الإسلام القول بأنه "دين جامد" أو أن أتباعه غير آهلين للتكيف مع منجـــزات العـــصر الحـــديث التقنية، وتعلن صراحة **"إننا نجد في الفكر الإسلامي مبدأ لإمكانية تطور المجتمع المدني".**

ومـــن جانبنا فإننا نؤكد على أهمية وضرورة تبادل مثل هذه الوثائق بيننا وبين الغير من حـــيث إلى حـــين، ولـــيطلع بهذه المهمة المراكز الإسلامية المنتشرة في ربوع العالم الإسلامي والـــروابط الإسلامية المهتمة بالتعريف بنبي الرحمة ﷺ أو من خلال الأزهر الشريف بما له من دور ريـــادي في هذا المضمار، وليكن ذلك بكل لغات العالم الغربي للتعريف الصحيح، بنبي الرحمة، والفهم الصحيح للدين الإسلامي وثوابته ورموزه.

وفي سبيل هذا الهدف وتلك الغاية النبيلة فليتنافس المتنافسون.

 شهادة المستشرق الإيطالى دافيد دى سانتيلانا[1]:

(١٨٤٥ - ١٩٣١م)

يقول هذا المستشرق:

فى الإســـلام ، حل الله محل الآلهة البائدة الزائفة ، وصار سيّدا وحاميا لشعبه المختار "أمة المسلمين" عندما أسلم أحد شيوخ القبائل فى الجاهلية بادر النبىّ بقوله:

- أنت ربّنا فأسرع محمد يجيبه:

- ربك الله.

فالإســـلام هو دولة الله المباشرة ، هو حكم الله الذى يرعى شعبه بعينه، ويكلؤه بحسن تدبيره ، إن أساس الوحدة الاجتماعية المسمى فى المجتمعات الأخرى (بولس) وكيفيتاس (أى حكـــومة) يمـــثله [الله] فى الإسلام، فالله هو الاسم الذى يطلق على السلطة العاملة فى حقل المصلحة العامة وعلى هذا الأساس ، يكون:

- بيت المال [هو بيت مال الله].
- الجند هم [جند الله].
- الموظفون العموميون [عمال الله].

(١) ولد هذا المستشرق بتونس وتخرج من جامعة روما وقد نال درجة الدكتوراه فى القانون، ثم تفقه فى الفقه الإسلامى (خاصـــة فى مذهبى الإمام مالك والإمام الشافعى ثم قام بوضع القانون المدنى والتجارى بتونس وفق قواعد الشريعة الإسلامية وبالاتساق مع القوانين الأوربية.

- **ويستطرد المستشرق الإيطالى:**

إن الشريعة الإسلامية ذات الحدود المرسومة والمبادئ الثابتة لا يمكن إرجاعها إلى شريعتنا وقوانيننا ، لأنها شريعة دينية تغاير أقطارنا أصلا.

وقــد يحــصل فى العادة خلط بين ناحيتين ، فالإسلام كالمسيحية (أو كأى دين آخر) له عقائــد مخــصوصة ينفرد بها .... ومن الظلم والتجنى أن نصفها بالجمود أو الشدة كما لو ألصقنا بالمسيحية التهمة نفسها، إذ أنه يوجد فى أى نظام دينى عظيم الخطر جليل الشأن شيء أكثر من محض العقيدة...".

كما يستطرد قائلا:

. **الإيمان الصحيح:** إنه القانون أو الشريعة التى توزع العدالة بالقسطاس على الجميع بلا أى تفــضيل، وهــى تــستند إلى الإيمان القويم أساسا، وعلى المسلمين أن يفوا بالعهود التى يقطعونها على أنفسهم ، وليس لهم أن ينتفعوا بمال مسلم آخر لم يُجزهم...

ويستطرد قائلا:

"أيكــون معنى أن الشريعة الإسلامية مرجعيتها دينية؛ أن الفكرة الدينية قد أعاقت تطور القانون الإسلامى؟

هــذا الاستنتاج ليس إلا سوء فهم لتلك الوحدة الفكرية التى يتمثل فيها مصدر قوة الإســلام الرئيــسية.. فى الإسلام ترسم الأخلاق والآداب فى كل مسألة حدود القانون، وبذلك جاء الحديث النبوى الشريف:

"ما ليس لله فيه سهم ليس للمرء فيه حق"

وسهم الله هو إرادته فى منحه كل شخص ما يستحقه، وليس له أن يجور على ما يعود لغـــيره، وإنا لنجد أنفسنا أخيرا وقد بلغنا مرحلة : **الحق المطلق**، والذى هو أساس المجتمعات المتمدنة قاطبة...

كما يستطرد الباحث المدقق قائلا:

إن الشريعة الجديدة قد ألغت القيود الصارمة والمحرمات المختلفة التى فرضتها شريعة موسى علـــى الـــيهود كما نسخت الرهبانية المسيحية، ثم أعلنت رغبتها الصادقة فى مسايرة الطبيعة البـــشرية والنزول إلى مستواها، واستجابت إلى جميع حاجات الإنسان العملية فى الحياة ... "**يسروا ولا تعسروا**" تلك هى التعاليم والأوامر التى كان النبى (على الصلاة والسلام) يبلغها إلى من "ارسل إليهم" .

وينتهى الباحث الموضوعى إلى حقائق لا تعد ولا تحصى عن حقيقة الإسلام وعن رسوله الكريم فيقول:

"إن للإســـلام بعض الميل إلى الصوفية ، ولكن لا إلى الزهد وبعبارة أكثر تجملا، إنه لا يقر تعذيب النفس وإماتتها بالتقشف أو بسائر الوسائل الأخرى التى تضعف البدن وتكبت الغرائز البشرية الطبيعية...

إنـــه يحصن المؤمن على التمتع بالطيبات التى أنعم الله بها عليه، شريطة أن يقيم الحدود وأن يخضع للسنة ... وهى ليست بالكثيرة ولا بالصارمة...

 **شهادة الدكتور الفرنسي: موريس بوكاي[١]**

يقـــول هذا المفكر:

"... وســـوف نـــرى فيما بعد أن القرآن يثير وقائع ذات صفة علمية، وهي وقائع كثيرة جداً، خلافاً لقلتها في التوراة، إذ ليس هناك أي وجه للمقارنة بين القليل جداً لما أثارته التوراة مـــن الأمور ذات الصفة العلمية وبين تعدد وكثرة الموضوعات ذات السمة العلمية في القرآن، وقـــد ثبت عدم تناقض أي موضوع ما من مواضيع القرآن العلمية مع وجهة النظر العلمية. وتلك هي النتيجة الأساسية التي تخرج بها دراستنا....

كمـــا يقـــرر:

"... لقـــد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون فكر مسبق، وبموضوعية تامة، باحـــثاً عـــن درجـــة اتفاق النص القرآني ومعطيات العلم الحديث، وكنت أعرف قبل هذه الدراســـة وعن طريق الترجمات أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية، ولكن معرفتي كانت وجيزة، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أي مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث.

ويستطرد هذا العالم الموضوعي فيقول:

"في هـــذا الجـــزء" سيجد القارئ أمثلة توضيحية لتطبيق العلم على دراسة أحد الكتب المقدســـة، وهـــو تطبيق لم يكن ليتوقعه الإنسان، كما سيجد في ذلك بياناً لما جاء به العلم الحـــديث، الذي هو في متناول كل يد من أجل فهم أكمل لبعض الآيات القرآنية التي ظلت حتى الآن مستغلقة أو غير مفهومة، ولا عجب في هذا إذا عرفنا أن الإسلام قد اعتبر دائماً أن الـــدين والعلم توأمان متلازمان، فمنذ البدء كانت العناية بالعلم جزءاً لا يتجزأ من الواجبات الأساسية التي أمر بها الإسلام، وأن تطبيق هذا الأمر هو الذي أدى إلى ذلك الازدهار العظيم للعلـــوم في عصر الحضارة الإسلامية، تلك التي اقتات منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة في أوروبا"[٢].

---

(١) من اهتمامات هذا العالم مقابلة الكتب المقدسة (في الديانات الثلاثة) بالحقائق والنظريات العلمية الحديثة.

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (تأليف موريس بوكاي) دار المعارف ٢٠٠٦م



شهادة المستشرق البلجيكى جورج سارتون[1]:

[١٨٨٤ - ١٩٥٦م]

يقول هذا المستشرق

"حادثة واحدة من أخصب الحوادث نتائج فى تاريخ الإنسانية، ألا وهى ظهور الإسلام.

ولقـــد كانت الهجرة حدا فاصلا فى حياة الرسول محمد، وفى تاريخ الدين الجديد، إنها البدء الرسمى للإسلام كدين ودولة معاً...

لقـــد كـــان محمد (عليه الصلاة والسلام) مثل إخوته الأنبياء السابقين، ولكنه كان أعظم منهم نجاحا بما لا نسبة فيه، كان الرسول رجلا ذا عبقرية عظيمة...

ويستطرد المستشرق البلجيكى قائلا:

"والإسلام يمكن أن يعد انشقاقا من اليهودية أو النصرانية، ولقد عده بعضهم كذلك، فالإسلام وفق هذا الرأى مكمل لليهودية وللنصرانية، إلا أن الدارسون العدول يقولون: إن الإسلام ثالث الأديان الكبرى التى يتمم بعضها بعضا والتى ترجع إلى مجموع واحد.

---

(١) درس اللغـــة العـــربية بالجامعة الأمريكية ببيروت ثم حاضر فيها وفى كلية المقاصد الإسلامية عن: **فضل العرب فى الفكر الإسلامى**، وهو حامل لست دكتورهات فخرية، ولقد كان عضوا منتخبا فى عشرة مجامع علمية وفى عدد من الجمعـــيات العلمية العالمية فى التاريخ والعلم والفلسفة، ورئيس الاتحاد الدولى لتاريخ العلوم بباريس وتاريخ العلوم الأمـــريكية والعضو المراسل لمجمع العلمى العربى بدمشق ... بلغت أبحاثه أكثر من خمسمائة بحث، ويحدثنا الدكتور محمد عمارة عنه فيقول:

وقـــد تحدث عن تميّز **العلم** الإسلامى بكونه ثمرة **للدين الإسلامى** وللوحى القرآنى ، وليس كالعلم المادى الغربى: والذي هو ثورة على الدين ونقضاً **للوحى** السماوى.

• **كما يستطرد:**

ولقــد اتفــق (ولم يكن الرسول ليستطيع ذلك لو لم يكن مؤيدا بقبس من الوحى) أن اللغة الوحيدة التى عرفها رسول الله كانت من أجمل اللغات فى الوجود، فالرسول مع أنه أمي، كان يملك ناصية اللغة، إذ أتاه الله بيانا ، وقد وهب اللغة العربية مرونة جعلتها قادرة علـــى أن تدوّن الوحى الإلهى أحسن تدوين بجميع دقائق معانيه بل ولفتاته، وأن تعبر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة".

كما يستطرد بموضوعية فائقة لا تشوبها شائبة تعصب أو تحيّز:

"إن كـــثيرا من كنائسنا نحن قد ضعفت إلى درجة التفاهة لتساهلها ، ولفقدان التنظيم فـــيها، ولقلـــة ما تفرضه على اتباعها ... إن أتباع هذه الكنائس إذا دفعوا اشتراكاتهم (بدل جلوسهم على مقاعد الكنيسة) عدّوا من المؤمنين حقا، إن مثل هذه الكنائس قد تكون غنية، ومـــع ذلك فإنها من حيث التأثير فى حكم المفقود... **ولقد عرف محمد ذلك جيدا ، وهذه علامة ثانية من علامات عبقرية النبوّه فيه ..**

وخلاصـــة القـــول إن الرسول جاء بدين توحيدى قبل أن يقوم فى النصرانية من يقول بشرعة التوحيد بتسعة [الإشارة هنا للمذهب المسيحى الوحدانى — المنكر للتثليث]... إنه لم يتح لنبيّ من قبل ولا من بعد أن ينتصر انتصاراً تاماً كانتصار محمدً".

ثم يستطرد:

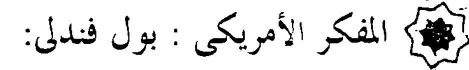
"إن الفرق بين القرآن والإنجيل عظيم جدا، وهو يرجع إلى أن القرآن الكريم قد صدع به النبى نفسه... وإلى أن القرآن يشتمل على جميع الأسس الضرورية للحياة الإسلامية:

الدين والفلسفة والتشريع والتقويم واللغة ....

وبحيادية بالغة الدقة يستطرد هذا المستشرق المنصف فيقول:

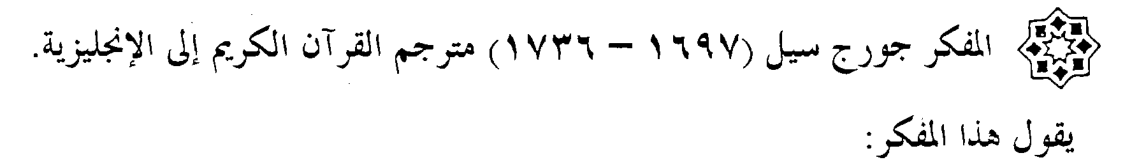
"إن الفتوح العربية لم تكن نتيجة صراع بين برابرة جياع، وبين سكان مدن أخذوا يتقهقرون فى سلم المدنية، بل كانت فى الأكثر صراعا بين دين جديد وثقافة جديدة ناشئة فى المحل الأول، ثم بين ثقافات منحلّة متعادية قلقة فى المحل الثانى ... هذه الفتوح كانت إلى حد بعيد تتخذ طبيعة حرب صليبية مضادة .

لقد كانت انتصار الهلال على الصليب..."



المفكر الأمريكى : بول فندلى:

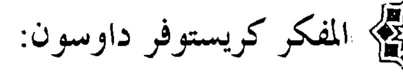
وفى كتابه "لا سكوت بعد اليوم"[1] يدلى هذا المفكر بحقائق عديدة استطاعت أن تمزق قشور تلك الأباطيل والأكاذيب كى تصل إلى ألباب الحقائق، فيقول أنه يتحدث عن الصور المزيفة للإسلام فى أمريكا، وكيف كانوا يعلمون أطفالهم، وهم مازالوا صغارا، أن الإسلام هو دين محمد، وأن المحمديين متعصبون ويستحقون القتل..



المفكر جورج سيل (١٦٩٧ – ١٧٣٦) مترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية.

يقول هذا المفكر:

"لقد صادفت شريعة محمد ترحيبا لا مثيل له فى العالم، وإن الذين يتخيلون أنها انتشرت بحد السيف إنما ينخدعون انخداعا عظيما".



المفكر كريستوفر داوسون:



(١) وقد صدر فى أمريكا مؤخرا.

ويقول هذا المفكر:

"إن محمدا كان هو إجابة الشرق على تحدى الاسكندر ... إن محمدا هو مؤسس الدولة الإســلامية الــتى سرعان ما اتسعت لتصبح دولة كبرى أصبح لها ثقافتها الخاصة وحضارتها المتميزة فى مواجهة الهيليستينية بوجه عام .

المفكر مايكل هارت:

وفى كــتابه الفــذ "الخالــدون مائة" أعظمهم محمد" يقول هذا المؤرخ الأمريكى الانجلو سكسونى عن نبى الهدى والرحمة صلى الله عليه وسلم:

"لقــد اخترت محمد ﷺ فى أول هذه القائمة، ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ، ومعهم حق فى ذلك، ولكن محمدا عليه الصلاة والسلام، هو الإنسان الوحيد فى التاريخ الذى نجــح نجاحا مطلقا على المستوى الدينى والدنيوى ... إنه قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد مــن أعظم الديانات ، وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا، وبعد ١٣ قرنا من وفاته، فإن أثر محمد عليه السلام لا يزال قويا متجددا....

كما يقول::

"... وإذا استعرضــنا الــتاريخ، فإننا نجد أحداثا كثيرة من الممكن أن تقع دون أبطالها المعروفين ... مثلا كان من الممكن أن تستقل مستعمرات أمريكا الجنوبية عن أسبانيا دون أن يتزعم حركاتها الاستقلالية رجل مثل **"سيمون بوليفار"** ... هذا ممكن جدا على أن بعد ذلك أى إنسان ليقوم بنفس العمل ... ولكن من المستحيل أن يقال ذلك عن البدو، وعن العرب عمــوما وعــن امبراطوريتهم الواسعة دون أن يكون هناك محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم يعــرف العالم كله رجلا بهذه العظمة مثل ذلك ، وما كان من الممكن أن تتحقق كل هذه

الانتصارات الباهرة بغير زعامته وهدايته وإيمان الجميع به ... لقد انكمش المغول وعادوا إلى احتلال نفس الرقعة التى كانوا يحتلونها قبل ظهور جنكيز خان، وليست كذلك غزوات المسلمين، فالعرب يمتدون من العراق حتى المغرب ... وهذا يؤكد لنا أن الغزوات العربية التى سادت القرن السابع لا يزال دورها عميقا وأثرها بليغا فى تاريخ الإنسانية حتى يومنا هذا.

ثم يصل هذا المؤرخ إلى حقيقة مؤكدة مفادها: "**هذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذى جعلنى أؤمن بأن محمدا (صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأطهار) هو أعظم الشخصيات أثراً فى تاريخ الإنسانية قاطبة**".

شهادة الفيلسوف الإنجليزى الشهير توماس كارليل:

(الحائز على جائزة نوبل)

يخاطب هذا المفكر قومه النصارى فيقول فى كتابه "الأبطال" : "لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد أن يصغى إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمد خداع مزور ... وإن لنا أن نحارب ما يشاع من قِبل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التى أدّاها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة إثنى عشر قرنا لنحو مائتى مليون الناس[1]، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التى عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟!!.

- **ويستطرد هذا الفيلسوف قائلاً:**

"أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأى أبدا، ولو أن الكذب والغش يروّجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل هذا القبول، فما الناس إلا بُله مجانين".

---

(١) الآن مضى نحو أربعة عشر قرنا ، كما وأن عدد المسلمين الآن يربو على المليار والربع نسمة.

فوا أسفاه !!! ما اسوأ هذا الزعم ، وما أضعف أهله وأحقهم بالرثاء والرحمة.

"... وبعـــد ، فعلى من أراد أن يبلغ مترلة ما فى علوم الكائنات ألا يصدق شيئا البتة من أقوال أولئك السفهاء ... فإنها نتائج جيل كفر، وعصر جحود وإلحاد، وهى دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر، وموت الأرواح فى حياة الأبدان...

ولعـــل العالم لم ير قط أكفر من هذا وألأم ، وهل رأيتم قط أن رجلا كاذبا يستطيع أن يوجد ديناً وينشره علناً؟!!

ثم يستطرد:-

"والله إن الـــرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتاً من الطوب ... وعلى ذلك فلسنا نُعد محمدا هذا قط رجلا كاذبا متصنعا يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيته، ويطمح إلى درجة ملك أو سلطان ... أو إلى ذلك من الحقائر.

ما الرسالة التى أدّاها إلا حق صراح ، وما كلمته إلا قول صادق...

كـــلا ، ما محمد بالكاذب ولا الملفّق، وهذه حقيقة تدفع كل باطل وتدحض حجة القـــوم الكافرين ... لم يقتبس محمد من نور أى إنسان آخر و لم يغترف من مناهل غيره و لم يكـــن إلا كجمـــيع أشباهه من الأنبياء والعظماء، أولئك الذين أشبههم بالمصابيح الهادية فى ظلمات الدهور ...

وقـــد رأيـــناه طول حياته راسخ المبدأ، صادق العزم بعيدا ، كريما برًّا ، رؤوفا ، تقيا ، فاضـــلا، حـــرا ، رجلا ، شديد الجد، مخلصا، وهو مع ذلك سهل الجانب ليّن العريكة، جم البشر والطلاقة ، حميد العشرة، حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب...

وكـــان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق –لأن من الناس من تكـــون ابتسامته ابتسامة كاذبة ككذب أعماله وأقواله– كما كان عادلا، صادق النية، ذكي اللـــب، شهم الفؤاد لوذعيا (عبقرياً) كأنما بين جنبيه مصابيح كل ليل بهيم، ممتلئا نورا، رجلا عظيما بفطرته، لم تثقفه مدرسة ولا هذبه معلم، وهو غني عن ذلك[1].

ويـــزعم المتعـــصبون من النصارى والملحدين أن محمدا لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان!!!

كـــلا وأيم الله ..... لقد كان فؤاد ذلك الرجل ابن القفار والفلوات، المتوقد المقلتين، العظـــيم الـــنفس، المملوء رحمة وخيرا وحكمة وحجى ، أفكار غير الطمع الدنيوى، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه.

ويتساءل الفيلسوف:

وكـــيف لا، وتلك نفس صامتة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم إلاّ أن يكونوا مخلصين جادين .... لم يرض أن يتلفع بمألوف الأكاذيب أو يتوشح بمبتدع الأباطيل...

لقـــد كـــان متفردا بنفسه العظيمة .. لقد كان سر الوجود يسطع لعينيه بأهواله ومخاوفه وروائقه، ومباهره، و لم يكن هناك من الأباطيل ما يحجب ذلك عنه ... ويقرر فى نهاية الأمر:

"**لقـــد جاء الإسلام على تلك الملل الكاذبة والنحل الباطلة فابتلعها**...!!! وحق له أن يبـــتلعها لأنـــه حقيقة ، وما كان يظهر الإسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب وجدليات النصرانية .... وكل ما لم يكن بحق فإنها حطب ميت ... أيزعم الأفاكون الجهلة أنه مشعوذ ومحتال؟!! كلا .... ثم كلا وهكذا وسع نور الإسلام الأنحاء وعمّ ضوؤه كافة الأرجاء **وعقد شـــعاعه الـــشمال بالجنوب والمشرق بالمغرب**، وماهو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل فى الهند، ورجل فى الأندلس، وأشرقت دولة الإسلام حقبا عديدة، ودهورا مديـــدة بـــنور الفـــضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة، ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة".

---

(١) وكأنه على وشك التصريح بالقول: **أدبه ربه فأحسن تأديبه**.

 شهادة المفكر برناردشو الإيرلندى[1]:

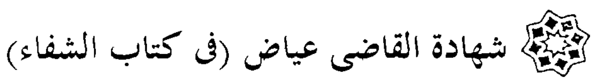
"لقـــد درســـت حياة هذا الرجل العجيب "محمد" وفى رأيي أنه يجب أن يسمى منقذ البشرية، وأعتقد أنه لو أتيح لرجل مثله أن يحكم العالم الحديث لحالفه التوفيق فى حل جميع مشكلاته وبأسلوب يؤدى إلى السلام والسعادة، اللذين يفتقر العالم إليهما كثيرا، وأستطيع أن أتنبأ بأن العقيدة التى جاء بها محمد ستلقى قبولا حسنا فى أوربا فى الغد، وقد بدأت تجد آذانا صاغية فيها اليوم"

ويؤكد الأستاذ خالد محمد خالد ذات المعنى فيقول:

"لـــو جمعـــنا كل ما قاله الفلاسفة والعلماء والحكماء فى دعم الحياة واحترام حقها فى الاستمرار والتقدم والإعمار ما بلغ معشار ما تفيئه كلمات الرسول هذه:-

"إذا قامـــت الـــساعة، وفى يد أحدكم فسيلة، فليغرسها" ... إنه الالتزام المقدس تجاه العمل والحياة، يحرص الرسول على قيام المسلم به حتى والدنيا تلفظ آخر أنفاسها..".

بأبي وأمي أنت يا رسول الله


شهادة القاضى عياض (فى كتاب الشفاء)

"ولا مـــرّية أنه صلى الله عليه وسلم كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبير أمور بـــواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله، وبديع سيره، فضلاً عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع – دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت- لم يَمتر فى رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهته".

---

(١) وسنعاود الحديث عن هذه النخبة من المفكرين في الفصول القادمة

شهادة المفكر الفرنسي أتيين دينيه (في كتابه محمد رسول الله) [1]

(وقد أسلم وسمى نفسه ناصر الدين)

يقــول هذا المفكر "إن النبي محمداً ﷺهو الوحيد الذي استطاع أن يستغني عن مدد الخوارق والمعجزات المادية معتمداً فقط على بداهة رسالته ووضوحها وعلى بلاغة القرآن الإلهية".

ويــرد علــى الكاتــب الفرنسي الشهير "رينان" في صدد كلامه عن سيدنا عيسى ومعجــزاتــه:

"إن رينان نسي أن محمداً ﷺ مع عدم اعتماده على مثل هذه المعجزات التي ينكرها قــد جاء بأكبر المعجزات مما هو شاذ في تاريخ الديانات كلها فقد جاء بذلك الدين الحنيف الذي لم ينفك يزداد أنصاراً كل يوم، دون أن يكون له دعاة ومبشرون".

ويستطرد :

وأما تلك الخرافات والمعتقدات الغريبة التي نشاهدها في بلدان الإسلام المختلفة، فهي غريبة عن القرآن ودخيلة على الدين ولا تتفق مع شئ مما عرف عن رسول الله ذاته ﷺ.

كما يستطرد:

وقــد جاء في الأثر، لما مات إبراهيم ابن النبي محمد حزن عليه حزناً عظيماً، وحدث أنه ساعة دفنه كسفت الشمس فقال الذين من حوله: إنها لمعجزة يا محمد، فقط شاركتك الشمس فــي حزنك على ولدك. ومع أن النبي كان مأخوذاً بالحزن الشديد، فقد أنب القائل وقال "**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله فلا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته**".

كما يستطرد هذا المفكر:

ووســط هــذا الفــضاء الشاسع المؤثر وهذا السكون الرهيب والضوء المتألق في صــحراء مكــة وشــعابها، كــان محمد يجلس ساكناً لا حراك به، تمر عليه الساعات تلو الساعات وهو غارق في تأمل وجداني عميق صامت.

---

(1) بالاشتراك مع الكاتب الجزائري سليمان إبراهيم.

ولـــشد ما كان يروعه ويملأ نفسه هيبة، هذا المنظر الرائع المتغير الفريد لعناصر الأرض والسماء الخاضعة لقوة خفية مجهولة هي أقوى من أن تقهر، وأسمى وأعلى من أن تتصور........................ إلخ.

كما يستطرد:

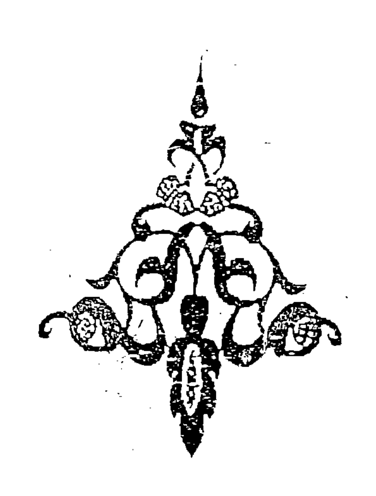
وكانت الخلوة لمحمد، أعظم مرب فقد صفت قلبه من كل مشاغل هذا العالم، ولذلك أطلقت عليه "الآثار" "**صفاء الصفاء**".

وفـــي الـــصحراء اتصلت أسرار الطبيعة بأعماق نفسه وغمرته في قوة، حتى لقد أوشكت أن تخرج من فمه تلك الحقائق الخالدة قبل أن يبعث رسولاً.

وقـــبل هبوط الوحي أخذ سيدنا محمد يرى الرؤى الصادقة الوضاءة ويسمع النداء الذي لا يعلم له مصدراً.

ولقـــد قال رسول الله ﷺ: "طيلة العشرة شهور التي تقدمت الوحي كان يتخلل نومي نور باهر يشبه فلق الصبح، وكنت حينما أبتعد عن الديار أسمع أصواتاً تنادي: يا محمد: يا محمد: فكنت أنظر يمنة، ويسرة، ومن خلف فلا أرى إلا شجيرات وصخوراً فيأخذني القلق والحيرة.

إنني ما أبغضت شيئاً بغضي للكهان والسحرة، وقد خشيت أن أكون قد أصبحت على غير علم مني، واحداً منهم فيكون الذي يناديني – خفيا مستوراً – تابعاً من الجن الذين يتحدثون إلى السحرة والكهان بخبر السماء فيساعدونهم بذلك على القيام بمهنتهم الآثمة".



شهادة شاعر الملحمة: شاهنامة إسلام":

"لقد رد الرسول محمد للإنسانية كرامتها واعتبارها وإلى أفراد النوع الإنسانى: حقهم فى الحياة نكس الباطل وقلب عروش الملوك والجبابرة، رفع رأس كل إنسان صابر، وشرف قدر الأجير، وأحبط الثرى المستأثر...كان الفقر فخره حين كانت سطوة كسرى وقيصر تحت قدميه...كسر سلاسل الظلم والباطل النارية التى يصعب كسرها، وجبر القلوب المنكسرة المتهافتة التى يصعب جبرها، فصلوات الله عليك يا من كان كسره معجزة وجبره معجزة".

الباحثة: **كارين أرمسترونج** [1]

لقد عاشت هذه الكاتبة بين المسلمين سنوات طويلة فخبرتهم وعرفتهم والفتهم ، ولذلك جاءت كتابتها مطابقة لواقع الحال ، صادقة الرؤية ، بيّنة المفاهيم ... فسارت عكس تيار الكراهية الذى انبثق من مسخ إعلامى ينضح بالمرارات، والأرج بين المعقول وغير المعقول، وبين الزيف والحقيقة، وبين الوهم والخيال .... وبشجاعة نادرة قالت:

"من الأخطاء الفاحشة اعتبار أسامة بن لادن ممثلا للإسلام، أو جيمس كورب سفاح نيويورك ممثلاً للمسيحية، أو باروخ جولد شتاين سفاح الحرم الإبراهيمى ممثلا لليهودية، فإن للإرهاب أسبابا أخرى كما قالت:

"لا يعقل أنْ يكون ألف ومائتا مليون مسلم[2] من الإرهابيين، إنهم أصحاب حضارة لا تقل مكانة عن الحضارات الغربية، كما وينبغى أن ندرك أن معنى كلمة الإسلام جاءت فى العربية من كلمة سلام".

---

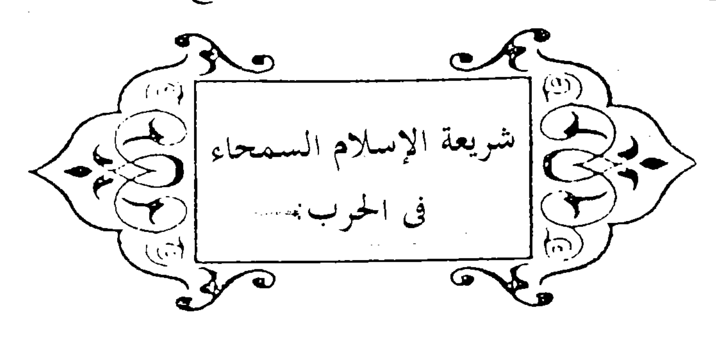
(١) راهبة بريطانية، عرفها العالم حين تركت الرهينة والفت كتابا بالغ الأهمية أسمته "عبر البوابة الضيقة" أعقبته بكتاب "تاريخ الله" ثم بمؤلف آخر "مدينة واحدة وثلاث ديانات" ثم "**محمد**" السيرة الذاتية لنبى، ثم موجز تاريخ الإسلام وغير ذلك.

(٢) كما هو معروف يبلغ عدد المسلمين هذه الآونة بما يزيد عن المليار والثالث مليار، وأن عدد المسلمين فى أوربا فيربو على الخمسة عشر مليونا، وفى الولايات المتحدة فإنه يقارب ١٠ ملايين نسمة (وقد كان ١٠ آلاف عام ١٩٠٠م، ومليون نسمة عام ١٩٧٠)

تعقيب هـــــام:

من مدلول الكلمات الأخيرة للباحثة الإنجليزية فإننا نتجه إلى الجد الأعلى مستفسرين:

۞ لمـــاذا تتصدر الولايات المتحدة قائمة حجم الإنفاق العالمى على التسلح والذى بلغ إجمالا ١,٣٤ تـــريليون دولار عـــام ٢٠٠٧م (وذلك وفق تقرير معهد ستوكهولهم الدولى لأبحاث السلام) [(١)]؟! ومن منطلق ثقافة الصدق أيها الجد فإننا نوضح الحقائق التالية:



نـــود هـــنا أن نوضح حقيقة على جانب كبير من الأهمية للقائل بأن الإسلام قد انتشر بالـــسيف، فمن المعلوم أن أهم فترة انتشر فيها ذلك الدين القيم هى فترة السلم، والذى تلا صلح الحديبية (بين قريش والمسلمين) والتى دامت سنتين، فإن من دخل الإسلام خلال هاتين الـــسنتين أكثـــر مما دخلوه فى المدة التى تقرب من عشرين عاما منذ بدء الإسلام تلك حقيقة والحقيقة الثانية:

أن القتال فى شريعة المسلم تحدده قوانين وشرائع وتنظمه قوانين وأحكام

وليدلـــنا حكمـــاء الغـــرب على رسول من الرسل أو حكيم من الحكماء أو مفكر من المفكرين أو فيلسوف من الفلاسفة أو ملك من الملوك الفاتحين والمشترعين قد وضع مثل هذه المبادئ أو هذه التشريعات الحضارية؟! التى وضعها نبى الهدى قبل أربعة عشر قرنا من الزمان والتى وضعها أديب روسيا (بوشكين) بالشاعرية لتقرأ ثقافة الرحمة.

- **القانون الأول:** ألا تكون عدوانية ، بل تكون ردًا لعدوان .

---

(١) كما يقرر المعهد: أن ثمانى قوى نووية حول العالم تمتلك أكثر من ٢٥ ألف رأس نووية حتى عام ٢٠٠٨، (تمتلك الولايات المتحدة وحدها ٤٠٧٥ رأسا من هذه الرؤوس) [الأهرام ٢٠٠٨/٦/١٠].

- **القانون الثانى:** أسرى الحرب لا يُقتلون .
- **القانون الثالث:** ألا يمثل بقتلاهم .
- **القانون الرابع:** ألا نوضع الأغلال فى رقاب الأسرى .
- **القانون الخامس:** إبطال الأخذ بالثأر (وإبداله بقانون القصاص)[1].
- **القانون السادس:** تحريم قتل الصبية والنساء .
- **القانون السابع:** تحريم نهب زروع الأعداء .

۞ إن الحقيقة التى لا مراء فيها أن القتال فى افسلام قتال دفاعى، أو من أجل:

- دحر خطر واقع فعلا.

---

(١) وإنـــنا لننتهز هذه المناسبة لنهدي للجد الأكبر هذه الثقافة الإسلامية، نعني بها **ثقافة العدل والرحمة** يقول المولى في محكم التتريل: "ولكم فى القصاص حياة" ونود هنا أن نرد على جهابذة من أراد أن يلغى عقوبة الإعدام مخالفا حكم الشريعة الإسلامية بل ويفرضها على بلدان العالم الإسلامى غصباً. نقول: أننا لسنا بحاجة لكى نؤكد أن شرع الله إنما يدخل فى جميع مناحى الحياة الدنيا كلها، وليس **الحدود أو القصاص فحسب**، ذلك لأن كل شرائعه سبحانه وتعالى تضمن ما يجلب الصالح ويدفع الطالح وأية ذلك أن القاتل إذا ما علم أنه سيُقتل قصاصا فإنه غالبا سوف يكف عن القتل ، وبالتالى سوف يسلم من القتل وفى ذلك حياة له، وفى ذات الوقت سوف لا يتعرض المقتول للقتل. وبالتالى فإن القصاص حياة للقاتل والمقتول معا، ثم ألم يحن الوقت كى يفهم جهابذة الفكر فى الغرب أن القصاص فيه شفاء لغيظ أهل المجنى عليه؟!! ... لأنه من طبيعة النفس أن تشتاط فى غضبها خاصة إذا اعتدى عليها عمدا أو قصوًا؟ من المـــؤكد تماماً أنه إذا لم يحدث قصاص للجانى فلسوف تثور ثائرة أهل المجنى عليه لا محالة، ومن ثم يتربصون للانتقام والـــثأر (وناهيك عما يحدث فى صعيد مصر وفى غيره من البلدان) ... وقد تتسع دائرة الانتقام فتشمل أهل القاتل والقتـــيل معـــا فلا تترك الأخضر أو اليابس إلا وأكلته . كما وأنه من أدبيّات لغتنا العربية (لغة القرآن الكريم) إذا اجـــتمعت حروف معنية مع بعضها البعض فإن ذلك له مدلول معيّن وبيان محدد (وباجتماع حرفى القاف والصاد) فذلك يوحى بأبعاد لا يجوز تجاوزها، ومن ثم فكلمة قصاص هنا تعنى التنفيذ فى أضيق الحدود) .. كما وأنه لابد من إقامة البينة إما باعتراف الجانى وإما بشهود عدل.

"ولكم فى القصاص حياة"

ومن أصدق من الله قيلا؟!!!

أو • لخطر متوقع قامت الدلائل القاطعة على وقوعه

أو • لحمل الناس على اعتناق الإسلام وهم له كارهون وليس قتالا لمحو الكفر من الوجود (كما يروج الجاهلون والكارهون لما أنزل الله).

ضوابط القتال فى الإسلام:

كما وأن من ضوابط القتال عند المسلمين:

١-أن يكون القتال فى سبيل الله

٢-أن يكون لمن يقاتلنا فعلا (أو عقد العزم على قتالنا)

٣-ألا يكون لقوم بيننا وبينهم ميثاق أمان ، كما نص الأمر الإلهى فى سورة الأنفال [إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق].

٤-ألا نتجاوز حد الاعتدال

٥-الاستجابة للكف عن القتال إذا طلبه العدو ، كما نص الأمر الإلهى فى سورة الأنفال [وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله].

٦-الالتزام باتباع ما أنزل الله عقب الانتصار على العدو فلا: زهو أو بطر أو ظلم.

٧-أن لا نقاتل من اعتزلنا و لم يؤذنا مهما كانت عقيدته ودينه، كما نص الأمر الإلهى فى سورة النساء "فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً".

٨-الإحسان إلى أسرى الحرب

۞ ومن وصايا رسول الإسلام في الحرب:

مـــن المحقق أنه إذا كان الرسول المجتبى قد اضطر للحرب فذلك لأن أعداءه وأعداء دينه قد صنعوا الظروف التى تجعل الحرب ضرورة حتمية لا فكاك منها ولا مفر

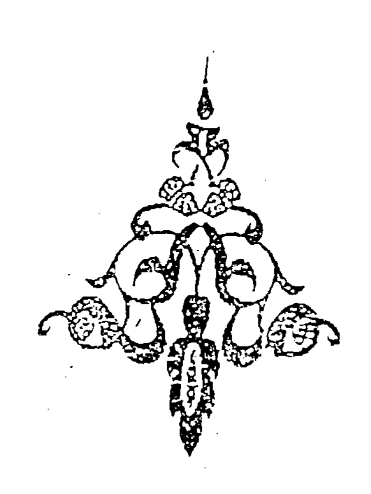
وفي حديث شريف لرسول الإسلام ﷺ .

لا تقتلوا الذرية. وقد سأله الصحابة:

- أليسوا هم أولاد المشركين؟! فكان رد نبى الهدى والرحمة:
- أو ليس خياركم أولاد المشركين[1].

أرأيـــت أيهـــا القارئ فى باب التسامح أفسح من هذا الأفق!!. بأبى أنت وأمى يا رسول الله

ولننتقل "**لثقافة المعجزات**"[2] وقد انقشعت السحب ومضى الغمام دون رجعة.



(١) بقصد أن خيار الصحابة كان آباؤهم مشركين، وأن ذرية المشركين التى نهى عن قتلها فى الحرب قد يكونوا مثلهم إذا أسلموا.

(٢) من باب التنظير وتأكيداً لما ورد بهذا الخصوص في الباب الأول.



معجزات الرسول [الدالة على صدق نبوّته]

إن معجـــزات الرسول المجتبى ليس من السهل إدخالها تحت الحصر[1] ... فأخلاقه معجزة ونشأته معجزة وسيرته معجزة، بل وكل جانب من جوانب حياته مليء بالمعجزات، وها نحن توجز البعض منها :

معجزة انشقاق القمر[2]:

وهـــي دون أي ريب معجزة قطعية الثبوت بلغت مبلغ التواتر ، ولقد أجمع أهل السنن والمفـــسرون علـــى حدوثها، وأنها آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وحين سألت قريش أهل الآفاق هنا وهناك، أخبروهم أنهم قد رأوا رؤية العين ذلك الانشقاق والذى طالبت به قريش رسول السماء إذ قالت:

---

(١) يقول ابن تيمية: إن معجزات الرسول تزيد على الألف ومائتين وقبل ثلاثة آلاف ولا بأس أن نذكر هنا معجزات الأنبياء والرسل كما وردت فى القرآن الكريم فى سورة [هود – الأحقاف- الحاقة – الأنبياء – البقرة – الأعراف – الـــشعراء- الـــنمل] فلقد كانت معجزة **نوح** عليه السلام: السفينة التى بكّر بصنعها بأمر ربه فنجته ومن معه من الطوفان الذى لم ينج منه أحد من الكافرين.

أمـــا عاد قوم **هود** (الذين كذبوه وسخروا منه فكانت آية الله لهم الريح الصرصر العاتية التى دمرت كل شيء بأمر ربها، سخرها سبحانه وتعالى سبع ليال وثمانية أيام حسوما حتى صار القوم صرعى كإعجاز نخل خاوية.

أما صالح ومماراة ثمود التى سألته أن يخرج لهم من الصخر ناقة فإن الله سبحانه وتعالى قد أيده بناقة انشق عنها الصخر لتكون لهم آية أمرهم الله ألا يمسوها، غير أنهم خالفوا وعقروها فأخذتهم الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين.

ومـــدين ، قوم **شعيب** الذى حذرهم من نقصهم الكيل والميزان أن يصيبهم مثل ما اصاب أقوام نوح وهود وصالح **ولوط**، فلما ابوا وسفهوا نبيهم وهددوه، فقد أخذتهم الصيحة مثلما اخذت ثمود.

وإبراهيم الخليل عليه السلام فقد أيده الله بالنار التى أراد قومه هلاكه فيها، إذ جعلها الله بردا وسلاما، كما أيده الله بمعجزة الطير الأربعة.

وموسى الذى كلمه الله تكليما وأتاه تسع آيات بينات فما ظنوه إلا مسحورا، وأتاه آية العصا التى لقفت ما يأفكه السحرة فبطلت أعمالهم وكذلك آية يده.

والسيد **المسيح** الذى أيده الله بخوارق ومعجزات لم يرها الناس من قبل

(٢) وقد سبق أن استفضنا في شرح هذه المعجزة.

إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين وانشق القمر فلقة دون الجبل وفلقة أخرى خلف الجبل، وكانت مدته من العصر إلى الليل[1]....

- **معجزة انشقاق صدره**
- **معجزات نبع الماء وامتلاء الآبار الجافة ونزول الغيث من السماء:**
- **معجزات البركة فى الطعام واشباع الجموع الكبيرة بمقادير صغيرة من الطعام**
- **معجزات الإخبار بالغيب (ما تحقق منها وما يتحقق).**
- **وكذلك آيات النبوة:**

- فى الأحجار والأشجار
- وفي معجـــزة ماء زمزم (الشافي بأمر الله) الذي لا يعلم أحد مصادره رغم طول مدته وكثرة ماءه، والماء لا ينبثق عادة من الأراضي الصخرية أو الرملية.
- كما كان تواضعه معجزة.

(بأبي وأمي أنت يا رسول الله)

- وفى انقياد الحيوانات له وائتمارها بأمره.
- بأبى وأمى أنت يا رسول الله ...

فحـــين أحسست بمن كان يريد أن يجلس بجوارك وقد أخذته رعدة من هيبتك: "هون عليك يا أخى ، فإنى لست بملك ولا جبار، وإنما أنا ابن امرأة[1] كانت تأكل القديد فى مكة

بأبى وأمى أنت يا رسول الله لقد رفضت أن تكون إلها فى صورة إنسان!!

---

(١) ومـــن طريف ما يحكى فى هذه المعجزة أن ابا بكر الطيب لما أرسله سيف الدولة لملك الروم (بقسطنطينية)، وقد أحضر له الملك بعض بطارقته ليناظروه . وسألوه : تزعمون أن القمر قد انشق لنبيكم، فهل للقمر قرابة منكم حتى تروه دون غيركم؟!

وكانت إجابة أبو الطيب: وهل بينكم وبين المائدة التى نزلت من السماء بطلب الحواريين إخوة ونسب؛ إذ رأيتموها ولم ترها اليهود واليوناس والمجوس الذين أنكروها وهم فى جواركم. وأُفحم السائل ولم يحر جوابا.

ولله در البوصيرى إذ يقول:

كيف ترقى رقيك الأنبياء ... بأسماء ما طاولتها سماء

لم يساووك فى علاك وقد حا ... ل سنى منك دونهم وسناء

إنما مثلوا صفاتك للنا ... س كما مثل النجوم الماء

ولله در القائل:

أتى اليتيم أبو الأيتام فى قدر ... أبهى لأمته ما كان من يتم

محرّر العقل يأتى المجد باعثنا ... من رقدة فى دثار الشرك واللمم

ولله در أديبنا مصطفى صادق الرافعى إذ يصف من كانت رحمته تشع فى كل جهة فيقول: "**إن نفس محمد صلى الله عليه وسلم فى مجموعها أبلغ الأنفس قاطبة، لا يمكن أن تعرف الأرض أكمل منها، ولو اجتمعت فضائل الحكماء والفلاسفة والمتألهين وجُعلت فى نصاب واحد، ما بلغت أن يجيء منها مثل نفسه صلى الله عليه وسلم، وكأنما خرجت هذه النفس من صيغة كصيغة الدرة فى محارها، أو تركيب كتركيب الماس فى منجمه أو صفة**

(١) تروى كتب السيرة أن المحيطين بالسيدة آمنة بنت وهب قد سمعوا منها حديثا عمّا رأت (عندما جاءها المخاض) إذ قالت: "رأيت نسوة كالنخل طولا كأنهن من بنات عبد ومناف يحدقن بى، ما رأيت أضوأ منهن وجوها، وكأن واحدة منهن تقدمت إلى فاستندت إليها ... وأخذنى المخاض واشتد على الطلق ، وكأن واحدة منهن تقدمت إلى وناولتنى شربة من الماء، اشد بياضا من اللبن، وابرد من الثلج وأحلى من الشهد، فقالت لى اشربى، فشربت ، ثم قالت الثانية: ازدادى فازددت، ثم مسحت بيدها على بطنى وقالت: بسم الله أخرج بإذن الله فقلن لى أى النسوة نحن آسية امرأة فرعون ، مريم ابنة عمران ... وهؤلاء من حور العين.

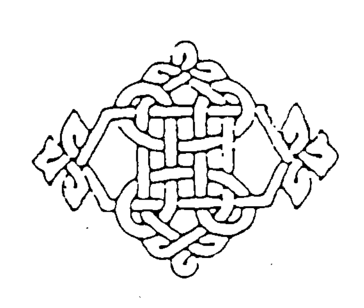
وقالت أمه : ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق ، وعلما بالمغرب ، وعلما على ظهر الكعبة.

كــصفة الذهب فى عرقه، وهى النفس الاجتماعية الكبرى... من أين تدبرها رأيتها على الإنسانية كالشمس فى الأفق الأعلى تنبسط وتضحى".

وفى تكريم إلهى عظيم يصفك رب العزة" (بالمؤمنين رءوف رحيم)[سورة التوبة] كما وأقسم بحياتك يا رسول الهدى وإمام الندى وأبلغ من حضر وبدا وأعظم من راح وغدا بأبي وأمي وأنت تخطى باثنين وتسعين صفة فى محكم التتريل الحكيم .

"وإنك لعلى خلق عظيم"

ومن أصدق من الله قيلا. !!!



تلخيـــص:

تناولـــنا بالنقد في هذا الفصل تلك الحملات التاريخية الظالمة (خاصة في القرون الوسطى) ضد الإسلام ورسوله الأمين سواء كانت في صورة مسرحيات أم روايات أم رسوم أو تماثيل في الكنائس أو غير ذلك.

وأوضـــحنا أن **ثقافـــة الفتـــنة** قد امتزجت مع **ثقافة التعصب** فأفرزت هذا النوع من الأساطير المضحكة والخرافات المؤسفة في هراء لا يصدقه عقل ولا يقره منطق.

وبيّنا أن المسئول عن ذلك أربع فئات رئيسية ألا وهي:

١- رموز عدد من الكنائس في الغرب بوجه عام.

٢- القادة السياسيون.

٣- وسائل الإعلام.

٤- الرموز الفكرية للتيارات العلمانية.

ثم تساءلنا عن طبيعة الصورة النمطية للمسلمين في الغرب سواء في الموسوعات العلمية أم في المناهج الدراسية، وأوضحنا معالم هذه الصورة بدرجة عالية من الموضوعية والصراحة.

وقد ظهر واضحاً أن تلك الصورة تبدو مخالفة للواقع بكل ما في الكلمة معنى. إذ تبدو:

- مشوهة - متدنية - بربرية . وأن العربي:

— عنيف — مخادع — عصبي المزاج — فاسد ... الخ.

وكشفنا عن بعض الجهود الموفقة لمكافحة التمييز مثل لجنة (A.D.C).

واتـــضح لـــنا أن الجهود التي تبذل في حاجة إلى المزيد من التوفيق على المستوى العربي والإسلامي بوجه عام.

وقدمنا بعض الأطروحات في هذا الشأن خاصة فيما يتعلق بالترعة المركزية الآثنية بأوروبا والعلاقـة الـتي ينبغـي أن تكون بين مبدأي: الحق والقوة ورأي الشريعة الإسلامية في هذا الخصوص ثم أفضنا بعد ذلك عن موقف الإعلام الغربي من الإشكالية بوجه عام.

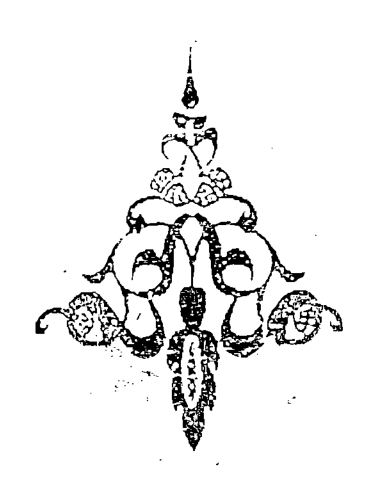
وقدمنا بعض النماذج الواقعية مثل **فيلم الفتنة** وغير ذلك.

كمـا تناولنا رأي الجد الأعلى جورج بوش في الإسلام ورسوله وتناوله بالنقد الموضوعي اللازم، وأنه قد جانبه الصواب في قراءة التاريخ بصورة أو بأخرى.

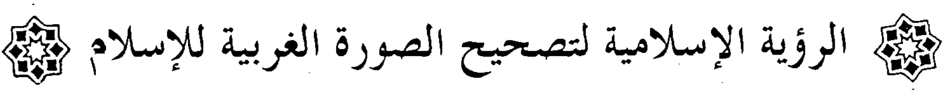
ثم انتقلنا "**بشهادات حق**" لمستشرقين فهموا الشريعة الإسلامية حق الفهم

كما بيّنا شريعة الإسلام في الحروب وما انطوت عليه من قوانين سمحاء ودللنا على ذلك بالقرآن الكريم والسنة المطهرة

واختتمنا الفصل بمعجزات الرسول عليه الصلاة والسلام (والتي تربو على الألف والمائتين في رأي ابن تيمية).



الرؤية الإسلامية لتصحيح الصورة الغربية للإسلام وثوابته ورموزه



الرؤية الإسلامية لتصحيح الصورة الغربية للإسلام

> ..... لذلك فالإسلام – والإسلام وحده– هو الـــذى يملـــك صيغة الوفاق الإنسانى العالمى، يملكها منهجا، ويملكها سيرة وتاريخا، ذلك إذا أرادت الإنسانية أن تحيا حياة أمن وسلام.
>
> مفكر إسلامى

طـــرحت وسائل الإعلام العربية السؤال التالى لسنوات: لماذا الإسلام دون غيره هو الذى يحرص الغربيون على النيل منه والإساءة إليه وإلى رسوله؟!!

ويـــبدو أن أحدا لم يصل بعد إلى لب الحقيقة أو جوهر الموضوع!! والواقع الفعلي يؤكد لنا، إذا لم تعرف الأسباب الحقيقية: (أيدولوجية كانت أم تاريخية أم نفسية أم غير ذلك)، فلن ينتظر حسم أو علاج الإشكالية التى غابت أسبابها وعللها.

وعقـــدت ندوات للمناظرة وتمت لقاءات للمصالحة والمهادنة كما صدرت قوانين متعددة تحـــت دعـــوى أو مـــسمى: "صراع الثقافات" و "حرية الفكر وإبداء الرأى" و "الحوار مع الآخر" ... الخ.

وقـــرأنا فى "ثقافـــة الفتنة" و "ثقافة التعصب الأعمى" المنشتتات المثارة والمثيرة فى أغلب الأحيان لمقالات صحفية لا حصر لها ولا عد: ؛-

- الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيان.
- أس البلاء هى العولمة ولا شيء سواها، فهى تدير ظهرها للدين.

- لقد تم القضاء على الشيوعية الحمراء وقد حان الوقت للقضاء على العالم الأخضر.
- العداء للإسلام أصبح **بديلا** عن العداء للسامية!!!

(وكأن العداء غريزة لابد منها)

- إنه اللوبى الصهيونى ولا شيء سواه.
- إنها حرية الفكر وحرية التعبير وحرية الاعتقاد ولا شيء سوى ذلك.
- إنها توابع أحداث قارعة سبتمبر عام ٢٠٠١ م. ولا شيء غير ذلك.
- أحقاد تاريخية تأصلت حتى النخاع ولا سبيل للقضاء عليها.
- الإسلام دين قّيم ... ولكن أين هم المسلمون الآن؟!!
- الحوار مع الآخر أصبح ضرباً من الخيال بل المستحيل! ... الخ.

مقالات صحفية لا حصر لها ولا عد، بعضها تبريرى ، والبعض الآخر تحريضى من أجل مزيد من التربح المادي !!! وبين هذا وذاك نماذج وصور إعلامية متباينة لا أول لها ولا آخر

وهكـــذا أصبحت الإشكالية المؤلمة المؤرقة للعالم بأسره غير واضحة الرؤية، كما أصبحت معالمها غير محددة من حيث الواقع الفعلى.

۞ وبما أننا هنا بصدد بحث علمى، فالنظرة العلمية تقتضي أول ما تقتضي أن نحلل الإشكالية التى نحن بصددها إلى:

- **أسباب.** و **نتائج**.

ذلك من أجل الوصول إلى استراتيجية متكاملة لحلول إيجابية بناءة. ويأتي ذلك بطبيعة الحال على مراحل لابد منها.

المرحلة الأولى: تحليل الأسباب ، تحليلا علميا دقيقا، ثم تصنيفها وفق قواعد المنهج العلمى ثم التعـــرف على دوافع هذه الأسباب (على مختلف مستوياتها النفسية والأيدولوجية والتاريخية والاجتماعية والخ والتى تختلف بالضرورة من شخص لشخص، ومن مجتمع لمجتمع.

۞ نوضّح ما نقصده ونعنيه:

الطالب (على سبيل المثال) فى المرحلة الابتدائية بدول الغرب، الذى يطالع كتب التاريخ التى تتناول موضوع الغزو الإسلامى لبلده، هذا الطالب إذا ما تمت تنشئته وفق مفاهيم معينة ومحددة ضد الإسلام والمسلمين، هذا الطالب ستختلف رؤيته بالضرورة عن زميله الذى طالع كتابا تاريخيا استفاض فيه المؤلف عن الدور التاريخى للمسلمين المغاوير وبطولاتهم الفذة

هــــذه التنشئة لاشك تختلف بالضرورة عن ذلك الذى شاهد الوسائل السمعية أو البصرية التى صورت المسلمين باعتبارهم برابرة أو وحوش آدمية لا تتورع عن فعل الفواحش والآثام التى يندى لها الجبين.

كما ستختلف بالضرورة عمن شاهد فيلم **الفتنة** أو قرأ مسرحية **الكوميديا الإلهية** لدانتى أو كتاب **العار**.

للكاتبة البنغالية (تسليمانسرين) [1] أو من شاهد مسرحية : "**التعصب ماهو مت**" لفولتير، حـــيث يصور النبى محمد نموذجا للتعصب الدينى والطغيان الثيوقراطى (الذى يستغل مشاعر الناس البسطاء لأجل وصوله لغاياته الشريرة).

كما وأنها ستختلف بالضرورة عن ذلك الذى قرأ عن المعركة الحاسمة "هر مجدون" المتوقعة فى يـــوم الله (علـــى حد زعمهم) والتى آمن بها إيمانا راسخا معظم رؤساء الولايات المتحدة

---

(١) والذى تتعرض فيه بالإساءة إلى حياة رسول الإسلام، كما تتعرض لقدسية القرآن الكريم (وبطبيعة الحال فقد أسرع الناشرون فى الدول الغربية باحتضانها وأفسحوا لها مجال التأليف والنشر..

الأمـــريكية، رغم أنها لن تقع فى هذه الأيام ولا بعدها حيث أنها قد وقعت أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب !!!

كمــا أن هذه التنشئة أو تلك ستختلف حتما عمن شاهد فيلما سينمائيا من الــ ٩٠٠ فيلم، التى أنتجتها هوليود عقب قارعة سبتمبر ٢٠٠١م.

باختلاف المعطيات إذن ستختلف المدركات، تلك حقيقة علمية لا شك فيها، لذلك فمن أوجـــب واجباتنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم وبقدر المعطيات التى شكلت وجدانهم سلبياً أو إيجابياً

وليكن ذلك وفق خطوات ومراحل علمية مقننة، وأول هذه الخطوات التى يجب أن نلجأ إليها:

 **اللجوء للمسوح الميدانية:**

مـــن أفضل الأساليب العلمية الحديثة بما يعرف بأسلوب : المسوح الميدانية، وهو أسلوب يقوم على الاستعانة بأدوات العلوم الاجتماعية الحديثة (بما فى ذلك الإحصاء) لقياس الظواهر الاجتماعـــية والسلوكية بمختلف أنماطها موضوع الاهتمام ، ثم يتم بعد ذلك تحليل البيانات وتفسير النتائج، بما يكشف عن معناه العلمى الموضوعى

هـــذه المـــسوح الميدانـــية[1]، من الواجب أن تجرى فى مختلف الدول الأوربية والولايات الأمـــريكية، هـــى الطـــريق العلمى الأمثل لإلقاء الضوء على الواقع الفعلى (للرؤية الغربية للمـــسلمين عامـــة) بدلا من الجدل النظرى الذى قد يكون بعيدا عن الحقيقة، ويظل كذلك حتى نهاية الأمر.

(١) ولا شك أن هذه المسوح تحتاج إلى طواقم من الباحثين والدارسين تؤهلهم دراستهم للقيام بهذه المهمة ، (هذا وقد جرت العادة أن تكون أداة جمع البيانات فى شكل استبيان أو ما يسمى بالاستخبار)..

وسيكون بالطبع محور هذه المسوح الإجابة على السؤال المحورى: **لماذا يكرهون الإسلام** ولماذا يكرهون رسوله؟!! وماذا يعرفون عن الإسلام؟! وماذا يعرفون عن رسوله؟!

خطوة متوازية هامة:

ولكـــن ثمة خطوة أخرى يجب أن تسير جنبا إلى جنب هذه الخطوة الاستبيانية، وهى التى تتعلق بالكيان الإسلامى: كمجتمع له نظمه ووسائله وأهدافه وأغراضه.

يقول على بن أبى طالب:

"أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم".

كما يقول نبى الهدى: ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية.

ويقول المولى عز وجل:

"كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (سورة البقرة الاية ٢١٣)

ثمة إذن مسئولية تاريخية من جانبنا نحن كمسلمين (شئنا أم لم نشأ)، ألا وهى **العمل على توفيق أوضاعنا**، وأن نعمل على رأب الصدع الذى أصابنا فى مقتل.

وأن يواصل علماء الدين الإسلامى وفقهاؤه جهودهم المتواصلة الدؤوبة ، دون أدنى يأس أو أى إحباط لجمع شمل فرق المسلمين[١] (وما تشعب منها) وما سوف يتشعب ، خاصة بين الفرقتين الكبيرتين:



الشيعة والسنة[٢]:

يقول رسول الهدى محذرا ومنذرا:

افتـــرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة[٣]، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة

---

(١) جديـــر بـــنا أن نوضح لفلاسفة الغرب حقيقة على جانب كبير من الأهمية لهذا الدين السمح ألا وهى: أن فلسفة الإسلام ترفض الصراع مع الآخر ، لأن الصراع يقضى نفى هذا الآخر بصرعه وإنهاء وجوده والانفراد والواحدية، وإنما تؤكد حقائق الشريعة بالدفع (ادفع بالتى هى أحسن) ذلك لأن الدفع حركة تبتغى إعادة العلاقات إلى: **مستوى ولحظة ومقام التوازن.**

الخلاصة أن الإسلام يرفض الصراع، ويقبل التفاعل والدفع البناء الإيجابي.

(٢) ولقـــد بدأ الأزهر الشريف فى تلك المحاولة فى مطلع القرن العشرين، وبالفعل تم تعديل بعض المناهج الدراسية التى تخدم هذا الغرض.

(٣) كثرت فرق اليهود كثرة بالغة، وهي تختلف في مبادئها وأسس حياتها بل ونظرتها إلى الكون وإلى ما وراء الكون.

ومن هذه الفرق:

١- **الفريـــسيون** (وهم يعتقدون أن التوراة بأسفارها الخمسة قد خلقت منذ الأزل... ويعيش أكثرهم في مظهر الزهد والتصوف، فهم لا يتزوجون وإنما يحافظون على وجودهم بطريقة التبني).

٢- **الصدوقيون**: (وهم من ينكرون البعث والحياة الأخرى، ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا فحسب).

٣- **القرأءون**: (وهم الذين لا يعترفون بالتلمود).

٤- **الكتـــبة**: (وهـــم الذين اتخذوا الوعظ وكتابة الشريعة وسيلتين لتصّيد أموال الناس، خاصة عندما عم الفساد وانحرف الفريسيون).

٥- **المتعصبون**: (ويطلق عليهم أحياناً السفاكون، وقد لجأوا إلى النّهب واللصوصية والفتك، وقد بلغ من حماسهم أنهم كانوا يرتكبون جرائمهم علناً في الطرقات ويغتالون دون تردد كل من يرون أن القضاء عليه سيحقق لهم أهـــدافهم... هذا ويعتبر الباحثون أن هذا الفريق ضمن الفرق السياسية أو قل فرق العصابات رغم أنهم بدأوا حياتهم في إطار ديني ولهدف ديني).

ويبدو أن الفرقة والخلاف لا يتسم بها شعب دون سواه أو دين دون غيره، ولكنها فيما بدا لنا أنها سمة بشرية عامة غالبة عند كافة الملل والمعتقدات.

وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين[1] فرقة كما يقول عليه صلاة الله وسلامه: سيكون فى أمتى اختلاف وفرقة، قوم يحسنون الكلام ويسيئون العمل، يدعون إلى كتاب الله عز وجل وليسوا منه فى شيء يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون فى الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون إليه حتى يرتد على فوقه، هم شر الخلق والخليقة" صدق رسول الله.

كما يقول المولى عز وجل فى محكم آياته:

"ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم [سورة هود :١١٩،١١٨] "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما أتاكم فاستبقوا الخيرات" [المائدة].

فالاختلاف إذن فى نظر الإسلام من أجل :

- **استباق الخيرات كما وأنه بالدفع إلى مستوى التوازن.**

وأما غير ذلك فهو هراء وافتراء.

(١) نود أن نشير فى عجالة إلى بعض فرق المسلمين التى فرقت الأمة الإسلامية وهم وإن كانوا لم يختلفوا فى أصول الفرائض كالصلاة والزكاة والحج والصوم، ولا أركان الدين وأصوله العامة ، إلا أنهم يزدادون فرقة ، حتى تداعت عليهم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، والخوف كل الخوف أن يصبح- على مر الأيام كل فرد أمة قائمة بذاتها وقد تحقق فيهم المأثور القائل "اتفق العرب على ألا يتفقوا"

- فرق الخوارج: [وقد انقسمت إلى: العجاردة ، الأزارقة، النجدات، الصفرية].
- فرق الإباضية: [وقد انقسمت إلى: النكارية، النفاثية، الخلفية، الحسينية، السكاكية، الفرثية].
- فرق الشيعة: [وقد انقسمت إلى السبئية ، الحربية، الغرابية، الدروز، النصيرية، القرامطة

وهناك فرق ضالة أخرى نرى من الأفضل عدم ذكرها، يقول المولى عز وجل في محكم تنزيله: "وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا"

وقوله تعالى: "وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ".

تعقيب وتقريب:

إن ما ندعو نحن إليه هنا من تقريب أو توفيق وتوثيق بيننا وبين الآخر، أو بيننا وبين أنفسنا كمسلمين هى ليست أطروحة مستحدثة أو مستلهمة من جانبنا، بل هى (وكما هو معلوم) دعــوة عامة دعى إليها الإسلام منذ ظهوره، حذر من مغبة مخالفتها القرآن والسنة ، بل ومن أهم خصائص الإسلام حيث يقول المولى فى محكم التنزيل:

- "وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ" [الشورى:١٠].
- "وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ" [الأنعام:١٥٣].
- "وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ" [المؤمنون:٥٢]
- "وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ" [المائدة:٧٧].
- "وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ" [الأنفال:٤٦].
- "وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ" [آل عمران:١٠٣].
- "ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ" [فصلت:٣٤].

كما حذر منها رسول الإسلام فى نبوءة له إذ يقول فى حديث شريف: **"لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد يقترب"**

ثمة إذن مسئولية تاريخية يجب أن ننهض بها على الفور –نحن المسلمين جميعا- ألا وهى اقتلاع الشر من جذوره قبل أن يشتد ويستفحل . ويتفرع إلى أخطبوطية لا سبيل لمجابهتها أو مقاومـــتها فى المـــستقبل القـــريب، إنها دون شك: **التنشئة الاجتماعية سواء لنا أو لغيرنا،** مسئولية الجذور والبراعم الأولى.

يجـــب أن تخلـــص الـــنوايا من أجل دعوة عامة تستهدف تغيير المناهج الدراسية سواء للمـــسلمين أو لغيرهم وفق قاعدة "**ادفع بالتى هى أحسن**" أو وفق مبادئ حقوق الإنسان أو وفق أية شريعة سمحاء أخرى.

لنبدأ المحاولة لوأد الصراع الذى أصبح لا ساحل له[1] ...

وليـــبدأ المسلمون ولديهم من آيات القرآن الكريم ومن السنة المطهرة ما يؤهلهم لذلك دون أدنى شـــك أو ريـــب ... ليـــبدأ المـــسلمون إذن كما بدأوا من قبل في بواكير ظهور الإسلام[2].

---

(١) ونـــتأمل ما جرى من مجازر صربيا فى البوسنة وكوسوفا (والتى راح ضحيتها أكثر من نصف مليون من المسلمين، وما جرى فى كل من دولة أفغانستان وفلسطين والعراق وغيرهم.....

(٢) تأكـــيدا وتعظـــيما لهذه الأمة وبأن الإسلام كان يمثل مركزية تاريخية تتحدد من حولها ومن خلالها علاقات العالم ومستقبله، يحدثنا المفكر "ألبرت حورانى" فيقول فى كتابه:

Arab seafring in the Indian ocean (١٩٥١) .

"إن كـــل الشعوب المعروفة قد استيقظت أو دخلت فى التاريخ عبر اتصال ما مع الإسلام، فالهند قد تزعزعت بفتح قتيبة بن مسلم، وفيما بعد مع محمود الغزنوي، وبالنسبة للعالم الأفريقى المجهول والمعزول فإن دخوله النسبى المتردد فى الـــتاريخ قـــد تم أيـــضا بواسطة الإسلام ، وماذا نقول عن الروس وبلغار الفولجا والشعوب التركمانية؟!! كم من الشعوب الجديدة قد تعلمت الحضارية بعبورها الإسلام دون شك على حساب تماسكه كقوة سياسية جاعلة أيضا من الإسلام –الحضارة- عملها المشترك؟! وإذا كانت أوروبا ذلك الرأس لآسيا قد عاشت واستمرت ، أليس ذلك لأنها تمتعت ألف سنة من السلام منذ نهاية الغزوات الهنغارية حتى تضحيات حرب الثلاثين سنة (١٩١٤ – ١٩٤٥) إلى الإســـلام يعود الفضل فى القيام بهذا الدور (دور الدرع الواقى ضد التدفقات الكبرى) إنه الإسلام الذى امتص كسم قاتل الصدمة المغولية (١٢٥٨م) وهو الذى صد فى مرحلة ثانية الهجمة التيمورلنكية، وهى هجمة هدامة مثل الأولى أو أكثر".

حقا هكذا كانوا ... ولله در الشاعر القائل:

سائلوا التاريخ عنا ما وعى من حمى حق نقير ضيّعا ؟
من بنى للعلم صرحاً ارفعا؟! من أقام الدين والدنيا معا؟

هذه خطوة.... أما الخطوة الثانية فهي:

المرحلة الثانية: حوارنا مع الغرب

لقـــد بدا جليا أننا فى حوارنا مع الغرب نسير فى خطين متوازيين، أنى لهما أن يلتقيا أو يتفقا، لأسباب نراها كالآتى:

١-الغرب عامة (وكنتيجة طبيعية للتنشئة التي سبق أن ألقينا عليها الضوء) ينظر للإسلام من منظور الواقع الحالى والممارسات الفعلية والحادثة فى عالمنا المعاصر، وما يمارسه المتطرفون (ولا نقول المؤمنون) من عمليات إرهابية ، بصرف النظر عن كونها دفاعا عن حقوق أو ردود فعل لممارسات مسبقة قهرية ... ومن ثم فإنه يقوم بتعميم هذه الأحداث على العالم الإسلامى وعلى الإسلام ورسوله.

هذه حقيقة يجب أن ننتبه إليها في حوارنا مع الغير، ولكن ماذا عن الطرف الآخر؟

٢-**الطـــرف الإسلامي** يلجأ فى خطابه الدينى أو فى حواره أو إعلامه إلى الروايات والأمجاد المأثورة عن السلف الصالح ، وغالبا ما يتم ذلك بألفاظ بليغة وعبارات مجازية رنانة لا تجد لها أذناً صاغية من المستمع.

****

وهكذا نجد أن الفرق بين الطرفين، هو الفرق بين العملى والنظرى ، أو قل بين الأقوال والأفعال هذا هو لب الإشكالية بكل صراحة.

والسؤال المطروح: ماهو المطلوب إذن فى هذه المرحلة؟!



الرؤية الإسلامية الصحيحة:

أولا: واجـــب الجهـــات الإسلامية الرسمية مثل: الأزهر الشريف – المجلس الأعلى للشئون الإســـلامية – مـــنظمة المؤتمـــر الإسلامى – رابطة العالم الإسلامى ومختلف الجهات الرسمية الأخرى:-

- من واجبها التصدى بكافة الوسائل الشرعية لمواجهة الجماعات الإرهابية التى أضافت ثقلاً للمفاهيم الثقافية المعادية للإسلام ومن ثم لرسوله الكريم .
- ولـيكن ذلـك فى مختلف الوسائل الإعلامية وعلى شبكات النت وبمختلف لغات العالم الغـربى، ومـن واقع النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة . وبأن الدين الإسلامي دين حضارة وسلام، وليس أدل على ذلك من أن:

رسول الهدى كان طول عمره يكره سفك الدماء ولو بالحق وأحاديثه الشريفة تحض على ذلك دون أدنى شك:

- **"وأنا شهيد أن العباد كلهم أخوة .** [1]
- **"ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية.** [2] **ومن الآيات القرآنية المنزلة. :**

- "لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ" (البقرة:٢٥٦).
- "ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ" (النحل ١٢٥)
- "فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ" (الرعد : ٤٠).

غيض من فيض لا ينتهى... يدل دلالة قاطعة على أن الإسلام دين سلام للعالمين.

وأن رسوله خاتم النبيين، رسول سلام للبشر أجمعين.

١- **(الطبراني في ٥٢٢ الكبير)** حدثنا موسي بن هارون ثنا إسحاق بن راهويه أنا معتمر بن سليمان ثنا داود الطفاي يقول حدثني ابو مسلم البجلي عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلي اله عليه وسلم كان يقول في دبر الصلاة : اللهم أنت ربنا ورب كل شئ أنا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك اللهم أنت ربنا ورب كل شئ أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة اللهم أنت ربنا ورب كل شئ اجعلني مخلصا لك وأهلي في الدنيا والآخرة ذا الجلال والإكرام اسمع واستجب الله الأكبر الأكبر اللهم أنت نور السماوات والأرض الله الأكبر الأكبر حسبي الله ونعم الوكيل الله الأكبر الأكبر .

٢- **(سنن أبي داود ٥١١٦؛ وجامع المسانيد للسيوطي ١٨٠٩٢ ؛ ومشكاة المصابيح للتبريزي)**
حدثنا ابن السرح أخبرنا ابن وهب عن سعيد بن أبي أيوب عن محمد بن عبد الرحمن المكي – يعني ابن أبي لبيبة عن عبد الله بن أبي سليمان عن جبير بن مطعم ؛ أن رسول صلي الله عليه وسلم
قال : << ليس منا دعا إلي عصبية ؛ وليس منا قاتل علي عصبية ؛ وليس منا من مات علي عصبية >>.

ثانيا: كما نود أن نشير إلى:

- ضـــرورة رعاية ودعم عدد من الكراسى الأكاديمية فى الجامعات العالمية ، للمزيد من الدراسات حول سيرة نبى الإسلام، (سيرة دعوته وجهاده). وكذلك الحقائق التاريخية المتعلقة بالدين الإسلامى وشريعته :
- وضرورة التعاون مع المؤسسات الإسلامية والعربية الدولية: لتصحيح الصورة النمطية للمـــسلمين فى مختلف وسائل الإعلام وشبكات الانترنت من خلال منظومة متكاملة عـــصرية، والاهتمام بنوعية الخطاب الدينى على المستوى المحلى والعالمى وفق القاعدة الفقهية الإسلامية الجليلة:

"ابدأ بنفسك"

ونهـــي كتابنا بكلمات الدكتورة خيما مارتنيث مونيوث أستاذة علم الاجتماع بجامعة الأتونوما بمدريد بأسبانيا[1] التي مضت على درب **ثقافة الحق** .

إذ تقول:

"في الـــوقت الذي تم فيه طرد اليهود والمسلمين من الأندلس بدأت أوروبا تنظر للعالم نظـــرة فوقـــية استعلائية، ومارست تأويل التاريخ تأويلاً انتقائياً لتجتث الإسهام الشرقي الحضاري من جذوره.. وفي القرنين الـــ ١٨ و ١٩ وجد فكر الاستعمار الأوروبي نفسه يحـــتاج إلى تفـــسير معـــنوي وأخلاقي لتبرير الهيمنة السياسية والاستغلال الاقتصادي.. ونـــشأت فكـــرة التفوق الثقافي الأوروبي على الآخرين، وتعيين أوروبا نفسها ممثلاً عالمياً

---

(١) وذلك في الندوة التي عقدت في أواخر عام ٢٠٠٣م في المؤتمر الذي نظمته دار الكتب والوثائق القومية، في القاهرة بالاشتراك مع معهد ثريانتس الأسباني.

للحضارة وإعلان تفوق العرق الأبيض وحضارته.. وأن سيطرة أوروبا هي الطريق الوحيد لـضمان السلام والأمن والثروة والتمدين والديمقراطية للشعوب البائسة.. الأقل حضارة ونمواً.

في هـذا الإطار تم تصنيف جميع العناصر الثقافية للعالم على أنها رجعية ومعوقة للتطور الحـديث.. وهذا ما شحن المخيلة الأوروبية بالتحيز ضد الإسلام.. واعتبار الإسلام عدو الحضارة والحداثة".

وتستطرد الدكتورة خيما قائلة:

"ونحن نخطئ حين نركز قضية حوار الحضارات على الدين.. ونخطئ حين نجمع علماء الإسـلام والحاخامات والكرادلة على مائدة عمل.. فلقد ثبت إخفاق مثل هذه المؤتمرات الـتي عُقدت حتى الآن.. نظراً لأن المشكلات الحالية لا تتركز في الدين أو ممثلي الأديان الـثلاثة، وإنمـا الحقيقة أن تلك المشكلات تحتاج لمراجعة الذاكرة التاريخية والسياسات وتقصي العدالة واحترام الآخر لتحقيق التفاهم المشترك".



تم بحمد الله

وعلى الله قصد السبيل

أرسل رسول الإسلام كتباً إلى ملوك العالم وأمراء العرب يدعوهم فيها للإسلام وإلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، واختار لكل منهم رسولاً يليق به ويعرف لغته وبلاده ونقدم نموذجين لهذه الكتب.

النجاشي ملك الحبشة

بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله إلى النجاشي
عظيم الحبشة السلام على من اتبع
الهدى أما بعد فإني أحمد إليك
الله الذي لا إله إلا هو الملك
القدوس السلام المؤمن المهيمن
وأشهد أن عيسى بن مريم روح
الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول
الطيبة الحصينة فحملت بعيسى
من روحه ونفخه كما خلق آدم
بيده وإني أدعوك إلى الله وحده
لا شريك له والموالاة على طاعته وأن
تتبعني وتوقن بالذي جاءني فإني
رسول الله وإني أدعوك
وجنودك إلى الله عز وجل وقد
بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي
والسلام على من اتبع الهدى

والمقوقس ملك مصر

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد
الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط
سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني
أدعوك بدعاية الإسلام أسلم
تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن
توليت فعليك إثم كل القبط يا
أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا
الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ
بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله
فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا
مسلمون

محمد رسول الله

(بخط المؤلف).

المحتـــويات

مسلسل	الموضـــــــوع	الصفحـــة
١	• الأدلـــة العقلـــية والعلمية والكونية على نبوة الرسول ﷺ وربطها بالأدلة الشرعية.	١
	– نبوءات الرسول الأمي المجتبى.	
	– من الأدلة العلمية على نبوة الرسول ﷺ.	٦
	– من الأدلة الكونية على نبوة الرسول ﷺ.	٨
	– أدلة أخــــرى.	٩
٢	• علاقة رسالة النبي ﷺ بالرسالات السابقة منذ آدم عليه السلام.	١٢
	– تقــــديم:	١٧
	– أوصاف النبي القادم من بني إسماعيل (كما وردت في التوراة).	١٧
٣	أولاً: نبوءات التوراة عن رسول الإسلام ﷺ.	١٩
	– موقف اليهــود.	٢٠
	– أوصاف النبي المنتظر في سفر التثنيه.	٢٢
٤	ثانياً: نبوءات الأناجيل عن رسول الإسلام.	٣٩
	– تقــــديم:	٤٣
	– الوقائـــع والعلامات التي تدل على قدوم رسول الإسلام كما بشر بها عيسى عليه السلام.	٤٤
٥	• النص على اسم نبي الإسلام ﷺ في إنجيل يوحنا.	٤٩
	– تداعـــيات محاكمـــة عيـــسى عليه السلام وإدانته (الأسباب والنتائج).	٥٢
	– تلخيــص:	٦٠

٦	• التعريف بالنبي ورسالته.	٦٢
	- التعريف برسول الله ﷺ.	٦٣
	- شـــرف النسب.	٦٥
	- مولـــد الهـــدى.	٦٧
	- مراتب الوحي.	٧٣
٧	• لماذا جاء نبي الإسلام من أمة العرب.	٧٧
	- أخلاق النبي وشمائله ﷺ.	٨١
	- رحمته بمن اتبعه وأمن به.	٨٤
	- رحمته بأعدائه.	٨٥
	- رحمته بالبهائم العجماوات.	٨٦
	- عدله صلوات الله وسلامه عليه.	٨٧
	- مجلس رسول الله ﷺ.	٩٠
٨	• كيف نفهم رسول الله ﷺ.	٩٧
٩	• دور رسول الله في بناء المجتمع الإسلامي المثالي.	١٠٠
	- تلخيـــص.	١٠٩
١٠	• الشبهـــات المثارة في الإعلان الغربي حول شخص النبي ﷺ والرد عليها.	١١١
١١	• ثقـــافة الفتنـــة.	١١٣
١٢	• الحمـــــلات التاريخية المؤسفة ضد الإسلام ورسوله عبر الأزمان الغابرة.	١١٤
١٣	• رسوم الرسول في الكنائس الأوروبية.	١١٥
	- من المســئول.	١١٦

م	الموضوع	الصفحة
١٤	• الإســـلام والمــسلمون في المـــناهج الدراسية في الولايات المتحدة الأمريكية.	١١٧
١٥	• محاولة تصحيح الصورة النمطية المشوهة.	١١٩
	– الخلاصـــــة.	١٢١
١٦	• جهود موفقة للجنة العربية لمكافحة التمييز (A. D. C.).	١٢٢
١٧	• صورة العرب والمسلمين في مناهج القارة الأوروبية.	١٢٤
	– قـــوة الحق وحق القـــوة.	١٢٤
١٨	• الحقيقة المزيفة في الموسوعات العلمية والأدبية.	١٢٧
١٩	• موقف الإعلام الغربي.	١٢٩
٢٠	• الشبهات المثارة في الإعلام الغربي حول الإسلام والمسلمين.	١٣٠
	– الإسلام في رأي الجد الأعلى جورج بوش.	١٣١
٢١	• شهـــادات حق.	١٤٤
	– تعقيب هـــــام.	١٦١
	– ضوابط القتال في الإسلام.	١٦٣
٢٢	• معجـــزات الرسول الدالة على صدق نبوّته.	١٦٥
	– تلخيـــص.	١٦٩
٢٣	• الرؤية الإسلامية لتصحيح الصورة الغربية للإسلام وثوابته ورموزه.	١٧١
٢٤	• المرحلة الأولى اللجوء للمسوح الميدانية.	١٧٤
٢٥	• المرحلة الثانية حوارنا مع الغرب.	١٨١
٢٦	• الرؤية الإسلامية الصحيحة.	١٨١